
لعبة الشر
L00100
www.dvd4arab.com

لقد أجمع الكل على أنه من المستحيل أن يجيد رجل واحد فى سن (أدهم صبرى) كل هذه المهارات .. ولكن (أدهم صبرى) حقق هذا المستحيل ، واستحق عن جدارة ذلك اللقب الذى أطلقته عليه إدارة المخابرات العامة لقب (رجل المستحيل) .

د. نبيل فاروق

١ ـ الوداع ..

اصطبغ قرص الشمس بلونه الأحمر النارى ، وهو يميل إلى الغروب فى الأفق ، والرمق الأخير من ضوئه يسقط على الأشجار العالية ، فتلقى ظلها الطويل عند جدول صغير ، يمتد عبر مزرعة ضخمة ، من مزارع مدينة (كيواوا) المكسيكية ، فى نفس اللحظة التى ظهر فيها رجل وسيم قوى ، متين البنيان ، على متن جواد عربى أصيل ، من خلف عدة أشجار قريبة ، واقترب فى بطء من الجدول ، حتى بلغه وقد اختفى الثلث الأسفل من قرص الشمس فى الأفق ، فهبط عن صهوة الجواد ، ووقف يراقب الغروب فى صمت ، وقد أطلت من عينيه نظرة عجيبة ، تجمع ما بين الحزن والضجر والضيق والمرارة ، فى آن واحد ..

ومع غوص الشمس فى بحر الأفق ، راح ذهن الرجل يسترجع ذكريات متداخلة ، ما بين القريب والبعيد ..

ذكريات والده ، الذى بذل أقصى جهده ، ليجعل منه أعظم رجال المخابرات فى العالم ..

ومصرع هذا الوالد ..

ثم ذكريات العمل فى القوات الخاصة المصرية ، قبيل وأثناء حرب أكتوبر ، عام ألف وتسعمائة وثلاثة وسبعين ..

وبعدها الالتحاق بالمخابرات العامة المصرية ..

وتنهّد الرجل ..
تنهّد العملاق، الذى لم تشهد ساحات المخابرات مثيلًا له، فى العالم أجمع ..
واسترجع ذهنه صورة أحب إنسانة إلى قلبه ..
صورة (منى) ..
زميلته وحبيبته، التى قضى عمره كله يتمنى الزواج منها، ثم وجد نفسه زوجًا لآخر مخلوقة كان يتصوّر علاقته بها ..
بعدوّته اللدود ..
بـ(سونيا) .. (سونيا جراهام) ..(*)
كم يؤلمه أن بلغت الأمور هذا الحد ..
كم يحزنه أن تنتهى حياته الحافلة إلى هذه النهاية ..
مجرّد مزارع ثرى، فى (المكسيك) ..
ولكنه القدر ..
القدر الذى جعله يواجه (بانشوسيلازر)، ويفقد ذاكرته، ويدخل فى صراع مع (توماس موران)، و (كال)، و (هنتر)، ومنظمة (سكوربيون) كلها ..
نفس القدر الذى جعل (سونيا) تهرع إليه، وهى تحمل اسم (نورما كرينهال)، فتقاتل من أجله، وتواجه الموت فى سبيله، بعد أن قضت حياتها كلها فى محاولة للقضاء عليه، وتقلب الأمور رأسًا على عقب، حتى تنقذه، وتصبح زوجته، وأم طفله الوحيد ..(**)
طفله، الذى شاء القدر أن تنجبه له (سونيا)، بعد أن تمنى طيلة عمره أن تحمله (منى) ..

(*) راجع قصة (الرجل الآخر) .. المغامرة رقم (٨١).
(**) راجع قصة (جزيرة الجحيم) .. المغامرة رقم (٨٤).

(منى)، التى لم يرها منذ شهر كامل، عندما غادر منزلها مع (سونيا)، بعد أن قصّ عليها قصته، وطلب منها كتمان أمر وجوده على قيد الحياة، ليعتزل حياة القلق والصراع إلى الأبد ..
مرة أخرى تنهّد فى عمق وحرارة، وقد غاب قرص الشمس تمامًا فى الأفق، وبدأ الظلام يستعد لإسدال ستاره على المكان، ثم اتجه (أدهم) إلى جواده، ووثب على متنه فى رشاقة مدهشة، لم يفقدها بعد، وألقى نظرة أخيرة على الأفق، قبل أن يغمغم فى مرارة:
ـ لابد أن تعترف يا (أدهم). لقد انتهى (أدهم صبرى)، ولم يعد هناك سوى (أميجو) .. (أميجو سانشو).
ولكز جواده لينطلق عائدًا إلى مزرعته، وهو ينعى نهايته ..
نهاية الرجل ..
رجل المستحيل ..

* * *

عبرت الرائد (منى توفيق) بوّابة مبنى المخابرات العامة فى خطوات رصينة كعادتها، وألقت تحية رقيقة على رجال أمن البوّابة، على الرغم من نظرة الحزن العميقة، التى تملأ عينيها، وتطلّ منهما فى وضوح يستحق الشفقة، ثم صعدت على قدميها إلى الطابق الثانى، وقطعت الممر الطويل فى بطء، وكأنها لم تعد ترغب فى العمل، أو لم تعد تطيق الجلوس فى مكتبها، بعد أن انتهى عملها مع (أدهم)، الذى يظنه الجميع قد فارق الحياة، فيما عداها ..
هى وحدها تعلم أن (أدهم صبرى) مايزال حيًا، هناك فى

(كيو اوا) ، يقضى البقية الباقية من أيامه مع زوجته (سونيا جراهام) ، وابنه الوحيد ، الذى لم يخبرها حتى عن اسمه ..

هى وحدها تنوء بذلك السر ، الذى ائتمنها عليه (أدهم) ، وطالبها بكتمانه ..

تنوء بحزن لا مثيل له ، بعد أن فقدت الرجل الذى أحبت مرتين ..

مرة بزواجه ..

ومرة برحيله ..

ولم تستطع بلوغ مكتبها بالفعل ..

عجزت قدماها عن حملها إلى هناك ، فى ذلك اليوم ..

إنها لم تعد تحتمل ..

لم تعد تحتمل أبدًا ..

«صباح الخير يا (منى) ..» ..

انتفض جسدها ، عندما بلغ هذا النداء مسامعها ، كما لو أنه قد انتزعها من سبات عميق ، والتفتت فى حركة حادة إلى مصدره ، فهتف بها صاحبه :

ـ ما هذا ؟.. لست أظننى مفزعًا إلى هذا الحد .

زفرت لتنفض عنها ذلك التوتر ، الذى لم تجد له تبريرًا ، وحاولت أن تبتسم فى شحوب ، وهى تقول :

ـ معذرة يا (قدرى) .. لقد انتزعتنى من شرودى فحسب .

تطلع إليها مشفقًا ، وقال فى صوت خافت حنون :

ـ ألم يحن الوقت بعد ، لطرح كل هذا الحزن جانبًا ؟

قاومت رغبة عارمة فى البكاء ، وهى تقول :

ـ ربما فيما بعد يا (قدرى) .. ربما فيما بعد .

ارتفع من خلفهما صوت مرح ، يقول :

ـ ما هذا الذى ستؤجلانه لما بعد ؟

التفتا معًا إلى صاحب الصوت ، وعقدت (منى) حاجبيها فى ضيق ، فى حين قال (قدرى) ، وهو يبتسم ابتسامة هائلة :

ـ صباح الخير يا (حسام) .. كيف حالك ؟

أجابه (حسام) فى مرح :

ـ إننى فى خير حال ، ولكن عزيزتنا (منى) ما تزال ترانى ثقيل الظل .

قالت (منى) فى ضيق واضح :

ـ من وضع فى رأسك هذه الفكرة ؟

أجابها بجدية مفاجئة :

ـ أسلوبك هذا .

لم تنبس ببنت شفة ، لأنها تعلم أنه على حق ..

إنها لا تدرى حتى لماذا تعامله بهذا الجفاء ؟..

لماذا ترفض وجوده ؟..

ألأنه يحتل نفس الموقع ، الذى كان يحتله (أدهم صبرى) من قبل ؟..

ألأنه يحمل لقب (ن ـ ٢) ؟..

أم لأنه طلب الزواج منها ؟..

«لماذا يا (منى) ؟..»

مرة أخرى انتفضت دون سبب واضح ، عندما قال (حسام) هذه العبارة ، ورفعت عينيها إليه فى ارتباك ، وهى تغمغم :

ـ لماذا ماذا ؟

سألها فى ضيق :

- لماذا تكرهيننى إلى هذا الحد ؟

نقل (قدرى) بصره بينهما ، قبل أن يقول فى حرج :

- (منى) لاتكرهك يا (حسام) ، ولكن ..

قاطعه (حسام) فى صرامة :

- دعها تجيب بنفسها .

ارتبك (قدرى) ، ولم يدر ماذا يفعل ، فى حين غمغمت (منى) :

- هذا صحيح يا (حسام) .. لست أكرهك ، ولكن ..

حاولت أن تجد جوابًا منطقيًا شافيًا ، ولكنها عجزت عن هذا ، فأكمل هو فى حدة :

- ولكننى احتل موقع الرجل الذى أحببت .. أليس كذلك ؟

خفضت عينيها ، لتخفى تلك الدمعة ، التى ترقرقت فى عينيها ، وهى تقول :

- اعذرنى يا (حسام) .. إننى ..

قاطعها فى صرامة :

- لاداعى .. لن أطالبك بتبرير مشاعرك ، فهى من حقك وحدك .

صمت لحظة ، قبل أن يضيف :

- ولكن عليك أن تحتملى تواجدى ، برغم أنفينا ، فهناك مهمة تنتظرنا معًا .

تهللت أسارير (قدرى) ، وهو يهتف :

- أخيرًا .. أخيرًا يا (منى) ستعودين إلى العمل .

أما هى ، فقد غمغمت فى توتر بالغ :

- مهمة ؟!

أومأ (حسام) برأسه إيجابًا ، وقال :

- نعم يا (منى) .. لقد طلب السيد المدير مقابلتنا ، ليسند إلينا مهمة جديدة .

وشرد ببصره ، وهو يضيف فى حزم :

- ولقد قررت أن أبذل قصارى جهدى فى هذه المهمة ، حتى يمكننى انتزاع اللقب بجدارة .

رددت فى قلق :

- اللقب ؟!.. أى لقب ؟

برقت عيناه ، وهو يجيب :

- لقب أسطورتك الراحل .. لقب الرجل .. رجل المستحيل .

* * *



٢ ـ المهمة ..

نقل مدير المخابرات العامة نظره، بين (حسام) و (منى)، وهما يجلسان على جانبيه، فى حجرة العرض السينمائى، داخل مبنى المخابرات العامة، وقال فى هدوء :

ـ قبل أن تبدأ المشاهدة، ينبغى أن تعلما أن مهمتكما ليست باليسيرة، بل إنها ـ فى رأيى ـ أخطر مهمة للإدارة، فى هذا العام .

برقت عينا (حسام) فى جذل، وهو يقول :

ـ إلى هذا الحد ؟!

أما (منى) فغمغمت :

ـ لست أدرى فى الواقع، ما إذا كنت أستطيع أن ..

قاطعها المدير فى حزم :

ـ إنك تستطيعين .

عقدت حاجبيها فى ضيق، فأضاف فى صرامة :

ـ لقد عملت طويلًا فى القسم الإدارى، بعد عودتك من (المكسيك)، منذ ما يقرب من العام ونصف العام، وحان الوقت لعودتك إلى العمل الجاد، ونسيان الماضى كله، فعملنا لا يحتمل هذه الوقفات العاطفية الطويلة .

استمعت إليه فى صمت، ثم تمتمت :

ـ نعم يا سيدى .. أنت على حق تمامًا .

وابتسم (حسام)، وهو يقول :

ـ بالتأكيد .

نقل المدير بصره بينهما مرة أخرى، ثم شبك أصابع كفيه أمام وجهه، وقال فى لهجة حازمة كعادته :

ـ كلاكما يعلم أن عالم المخابرات ليس بالعالم السهل أو البسيط، وأنه يتجاوز أحيانًا كل تعقيدات السياسة وملابساتها، وينغمس فيها حتى النخاع، فى أحيان أخرى، ولكنه دائمًا عالم غامض بالغ الخطورة .

قال (حسام) فى هدوء، وبلهجة أقرب إلى المرح :

ـ إننا نعلم هذا .

تابع المدير، وكأنه لم يسمع هذا التعليق :

ـ ولأن عالمنا يحمل هذه السمة، فنحن نحتاج دائمًا إلى معرفة أسرار أجهزة المخابرات الأخرى، والاطلاع على ما توصلوا إليه، فى كل المجالات، حتى نكون دائمًا على أهبة الاستعداد لمواجهة هذه الأجهزة، إذا ما اضطرنا الأمر يومًا لخوض صراع ما معها، ولهذا أنشأنا ذلك القسم، المتخصص فى زرع بعض العملاء، فى أجهزة المخابرات الأخرى، مثل الـ (كى. جى. بى)(*)، والـ(سى. آى. إيه)(* *)، و (المكتب الخامس)(* * *)، و (الموساد)(* * * *)، وغيرها ..

سأله (حسام) فى اهتمام :

(*) المخابرات السوفيتية .

(* *) المخابرات الأمريكية .

(* * *) المخابرات البريطانية .

(* * * *) المخابرات الإسرائيلية .

- كلهم مصريون .. أليس كذلك ؟

أومأ المدير برأسه إيجابًا ، وقال :

- بلى ، ولكنهم يتعايشون مع المجتمعات ، التى تم زرعهم فيها ، كما لو كانوا منها ، فيحملون أسماء تتناسب مع تلك المجتمعات ، بل تاريخًا متقنًا ، ويبذل قسمنا جهدًا هائلًا ، لمنحه المصداقية المناسبة ، التى تتيح لعميلنا الانغماس فى المجتمع الجديد لسنوات وسنوات ، حتى ينجح فى الالتحاق بأحد أجهزة المخابرات ، وهنا يبدأ عمله .

عاد (حسام) يسأله ، فى اهتمام أكثر :

- وهل تتعلق مهمتنا بأحد هؤلاء العملاء ؟

أومأ المدير برأسه إيجابًا ، للمرة الثانية ، وهو يشير بيده إلى فنى العرض السينمائى ، قائلًا :

- بالتأكيد .

أظلمت القاعة تمامًا ، وسقط ضوء آلة العرض على الشاشة ، لينقل صورة رجل أشقر ، أزرق العينين ، فى أوائل الأربعينات من عمره ، ينهمك فى رى عدة أحواض من الزهور ، فى حديقة فيلا أنيقة ، وقال المدير :

- هذا هو عميلنا فى الـ(سى . آى . إيه) .. إنه أمريكى المظهر كما تلاحظان ، ولكنه مصرى صميم ، من قمة رأسه ، وحتى أعمق أعماقه ، ولقد قضى نصف عمره فى الولايات المتحدة الأمريكية ، حاملًا اسم (هارولد دين) ، ومتعاملًا كأى أمريكى خالص ، حتى أمكنه أن ينخرط فى المخابرات المركزية الأمريكية ، منذ خمسة أعوام ، بعد جهد رهيب ، منه ومن قسم زرع العملاء ، وأصبح أهم رجالنا فى الولايات المتحدة الأمريكية على الإطلاق ..

صمت ليلتقط نفسًا عميقًا ، قبل أن يضيف فى ضيق واضح :

- حتى أسبوع مضى .

سألته (منى) فى قلق :

- وماذا حدث فى هذا الأسبوع ؟

مط شفتيه فى أسف ، وقال :

- يبدو أنه قد ارتكب خطأ ما ، فى مرحلة سابقة ، أثار شكوكهم بشأنه ، ودفعهم إلى مراقبته وتتبعه ، حتى ألقوا القبض عليه متلبسًا بنقل بعض معلوماتهم إلى أحد رجالنا فى (نيويورك) ، وحاول رجلنا الهرب ، ولكنه لقى مصرعه ، برصاصات رجال المخابرات الأمريكية ، وبقى (هارولد) فى أيديهم .

هتف (حسام) :

- يا إلهى !.. هذا سيثير حتمًا أزمة دبلوماسية عنيفة .

هز المدير رأسه ، وتنهد قائلًا :

- لا .. ليس بعد لحسن الحظ .. صحيح أننا فقدنا أحد رجالنا ، فى هذه العملية ، ولكننا كنا قد احتطنا للأمر ، فلم يكن يحمل - عند مصرعه - أى شىء يمكن أن يشير إلى انتمائه .. ثيابه كانت أمريكية الصنع ، وسيارته مستأجرة باسم إيطالى ، وحجرته بالفندق تحمل اسمًا فرنسيًا .. وحتى ملامحه لم تكن شرقية مثالية .. ولكن المشكلة هى أنهم قد اعتقلوا (هارولد) ، وسيحاولون حتمًا معرفة هويته ، وكل ما يعلمه عنا ، وعن وسائل الزرع ، والتدريبات اللازمة .. باختصار ، سيحاولون معرفة كل ما يتعلق بوسائلنا ، كما كنا سنفعل ، لو حدث العكس .

سألته (منى) :

- ألا توجد خطة بديلة ؟

أجابها المدير :

- بالتأكيد .. التدريبات التى تلقاها (هارولد)، تحتم عليه أن يبذل قصارى جهده لاحتمال وسائل الأمريكيين فى الاستجواب، حتى تنضب قدرته على الاحتمال، وهنا يعلن أنه إسرائيلى الجنسية، مع قصة أخرى محكمة ومتقنة، يمكنها إقناعهم أنه كذلك بالفعل .

سأله (حسام) فى حذر :

- أتظن هذا يقنعهم ؟

هز المدير كتفيه، قائلاً :

- ليس طويلاً .. ولكنه سيضيع بعض الوقت على الأقل، حتى ننجح فى استعادة رجلنا .

قال (حسام) فى حزم :

- أو قتله .

أدارت (منى) رأسها إليه فى حركة حادة، والاستنكار يملأ كل خلجة من خلجاتها، فالتقى حاجباه فى صرامة، وهو يقول :

- إننا لن نتركه لينقل إليهم أسرارنا .. أليس كذلك ؟

قالت فى حدة :

- لو كان (أدهم) فى مكانك لـ ...

قاطعها المدير فى لهجة قاسية :

- أخشى أن (حسام) على حق هذه المرة يا (منى)، و(هارولد) نفسه يعلم هذا، والتدريبات التى تلقاها تجعله يتقبل الأمر كحل حتمى .

قالت فى انفعال :

- لو فشلنا فى استعادته .

أطلق المدير من أعماق صدره زفرة حارة، وقال :

- أتعشم أن تنجحوا فى هذا، فالأمر ليس هيناً، إذ أنه لا يقتصر على أن (هارولد) بين يدى واحد من أقوى أجهزة المخابرات فى العالم فحسب، بل يمتد أيضاً إلى أننا نجهل تماماً أين يحتفظون به .

رفع (حسام) حاجبيه فى دهشة، ثم عاد يخفضهما، وهو يقول فى سخرية :

- يا لها من مهمة !

هز المدير رأسه مؤيداً، وأشار مرة أخرى إلى الشاشة، وهو يقول :

- ولكن لدينا بعض المعلومات، التى قد تفيدكم فى هذا الشأن، فهذا الذى ترونه على الشاشة الآن، هو (جيمس فوستر)، المعروف باسم (ثعلب المخابرات الأمريكية)، وهو المسئول عن هذه العملية، حسبما بلغنا، وعن طريقه، يمكنكم التوصل إلى (هارولد) .

تطلع (حسام) و(منى) فى اهتمام إلى صورة الرجل الأشيب، المتين البنيان، الحاد النظرات، الذى يبدو على الشاشة، مستغرقاً فى صيد الأسماك، عند شاطئ إحدى البحيرات، وغمغم (حسام) :

- من ذا الذى يجهل (جيمس فوستر) ؟

انتهى العرض، وأعيدت الأضواء إلى القاعة، فنهض المدير، قائلاً :

تطلّع (حسام) و(منى) فى اهتمام إلى صورة الرجل الأشيب ، المتين البنيان ، الحاد النظرات ، الذى يبدو على الشاشة ..

- كما قلت من قبل : مهمتكما هى أصعب ما واجه الإدارة ، منذ زمن طويل ، ولقد قدّر خبراؤنا أن (هارولد) يمكنه الاحتمال لأسبوع كامل ، ثم يلقى قصته الزائفة ، التى يحتاج رجال الـ(سى . آى . إيه) إلى أسبوع آخر لتفنيدها ، والتيقّن من صحتها أو كذبها ، وهذا يعنى أن أمامكما أسبوعين فحسب ، لحسم المهمة ، دون خطة موضوعة مسبقًا ، وبكامل الحرية فى التصرّف والأداء .

وصمت لحظة ، وهو ينقل بصره بينهما ، قبل أن يتابع :

- إنها مهمتكما .. فلا تخذلانا .

قال (حسام) فى حزم :

- لن نخذلك يا سيّدى .

وأضافت (منى) :

- بإذن الله .

وكانت البداية .

* * *



٣ ـ الصراع ..

انطلقت عصا (جيمس فوستر) فى دقـــة ، لتضرب كرة (الجولف) الصغيرة ، وتدفعها فى الهواء على شكل قوس طويل ، لتستقر إلى جوار حفرة صغيرة ، على بعد أربعين متراً تقريباً ، ترتفع منها راية صغيرة ؛ لتحديد موقعها ، وتطلع (فوستر) بمنظاره المقرّب إلى موضع الكرة ، قبل أن يمط شفتيه ، متمتماً :

ـ لا بأس .

ابتسم الرجل الواقف إلى جواره ، وقال :

ـ إننى أراها ضربة رائعة .

هزّ (فوستر) كتفيه ، وقال :

ـ ولكنها لم تستقر فى الحفرة نفسها .

قهقه الرجل ضاحكاً ، وقال :

ـ هكذا أنت دائماً يا (فوستر) .. لا ترضى إلا بالفوز المطلق .

رمقه (فوستر) بواحدة من نظراته الحادة ، وهو يقول :

ـ هذا ما ينبغى أن يطمح إليه كل رجل ناجح .

ربّت الرجل على كتفه ، وقال :

ـ وينبغى له أيضاً أن يقبل ما يصل إليه ، لو لم يُتح له الفوز التام .

هزّ (فوستر) كتفيه مرة أخرى ، وقال :

ـ هذا رأيك .

كان الرجل يرغب فى مواصلة الحوار مع (فوستر) ، لولا أن ظهر أحد رجال هذا الأخير ، بمنظاره الداكن ، وجسده الضخم ، وهو يتجه إليهما فى خطوات واسعة ، فقال الرجل ، وهو يجمع أدواته ، قائلاً :

ـ فليكن .. سنناقش هذا فيما بعد يا (فوستر) ، فقد حضر أحد شياطينك ، ومن الواضح أنكما تحتاجان إلى شىء من السرية .

لم يناقشه (فوستر) فى هذا الأمر ، وإن رمقه بنظرة أخرى من نظراته الحادة ، حتى انتهى من جمع أدواته وانصرف ، فالتفت ـ عندئذ ـ إلى الرجل الضخم ، وسأله :

ـ ما الأخبار ؟

تنحنح الرجل ، وأجاب :

ـ لم يعترف بعد .

التقى حاجبا (فوستر) فى ضيق ، وهو يقول :

ـ لولا أننى دربتكم بنفسى ، لقلت إنكم أغبى رجال الجهاز .

تنحنح الرجل مرة أخرى ، وقال :

ـ لقد كان واحداً منا يا مستر (فوستر) ، وتلقـــى نفس تدريباتنا ، و.... .

قاطعه (فوستر) فى حدة :

ـ ولو .. إنه بشرى على الأقل ، وما من بشرى يمكنه احتمال وسائلنا فى الاستجواب ، وأنت تعلم هذا جيدًا .

قال الرجل :

ـ نعم .. أعلم ، وأعلم أيضاً أنه من المحتم ألا تترك وسائلنا هذه أية آثار واضحة على جسم من نستجوبه ، وإلا فلن يرحمنا

رجال القضاء حينذاك ، ولا رجال الـ (إف . بى . آى)(*) ، فمن المفروض أن يتولوا هم قضايا الجاسوسية الداخلية ، إذ أن قرار الكونجرس الأخير ، يمنعنا من العمل داخل البلاد .

قال (فوستر) فى صرامة :

ـ أعلم هذا .

رفع مضرب الجولف ، وأخذ يلوّح به لحظات فى صمت ، قبل أن يسأل الرجل :

ـ هل نقلتم الرجل إلى المنزل الثانى ؟

أومأ الرجل برأسه إيجاباً ، وقال :

ـ نعم .. إننا ننقله إلى منزل آمن جديد .. كل ثلاثة أيام ، بحسب أوامرك ، وإن ..

بتر عبارته دفعة واحدة ، فسأله (فوستر) :

ـ وإن ماذا ؟

تردد الرجل لحظة ، ثم هز كتفيه ، وقال :

ـ وإن كنت أجد هذا نوعاً من المبالغة فى الحذر ، فـ (هارولد) نفسه لم يكن يعلم أماكن هذه المنازل الآمنة ، ولا ..

قاطعه (فوستر) فى غضب :

ـ أهذا ما علمتكم إياه ؟ .. لا يا (دانى) .. فى عالمنا ، المبالغة فى الحذر أفضل ألف مرة من التهاون ، والشكوك أكثر فائدة من الثقة .

وعاد يلوّح بعصاه ، مستطرداً :

ـ هذا الرجل ينتمى إلى جهاز مخابرات آخر يا (دانى) ، وسيحاول ـ حتى الرمق الأخير ـ إخفاء اسم هذا الجهاز ، وبعدها

(*) المباحث الفيدرالية الأمريكية .

سيسرد على مسامعنا قصة كاذبة ، حول انتمائه إلى جهاز مخابرات آخر على الأرجح ، فى محاولة لكسب بعض الوقت ، ومن المحتم أن جهاز المخابرات ، الذى ينتمى إليه هذا الوغد ، سيبذل أقصى جهده لاستعادته ، وإنقاذه من بين أيدينا ، أو قتله لو اقتضى الأمر ، ومن الضرورى أن نجعل مهمتهم هذه وعرة ، شديدة الصعوبة ، وأن تنجح فى اقتناصهم ، قبل أن يبلغوا غايتهم .

ابتسم (دانى) ، وقال :

ـ هذا لن يتأتى بالمبالغة فى إجراءات الأمن .

شرد بصر (فوستر) لحظات ، وهو يقول :

ـ إن لدىّ أفكارى فى هذا الشأن يا (دانى) .

وارتسمت على ركن شفتيه ابتسامة باهتة ، قبل أن يستطرد :

ـ دعنى أنا أدير اللعبة بأسلوبى ، وسترى أننا سنربحها يا (دانى) .. سنربحها تماماً .

* * *

«لقد عاد (فوستر) إلى منزله ..»

قالها (حسام) فى اهتمام شديد ، وهو يضع منظاره المقرّب على عينيه ، داخل تلك المنزل ، الذى استأجره ، فى مواجهة منزل (فوستر) تماماً ، فاعتدلت (منى) تسأله فى هدوء :

ـ وهل يفيدنا هذا ؟

رفع منظاره عن عينيه ، والتفت إليها ، قائلاً فى برود :

ـ هل تقترحين وسيلة أخرى ؟.. إننا نجهل كل شىء عن المكان ، الذى يحتفظون فيه بـ (هارولد) ، والشىء الوحيد الذى

نعرفه عن القضية كلها ، هو أن (جيمس فوستر) هو المسئول عن هذه العملية ، ولا توجد وسيلة إذن ، سوى مراقبة (فوستر) اللعين هذا ليلاً ونهاراً ، حتى يمكننا التوصل إلى (هارولد) ، إلا إذا كان لديك اقتراح آخر .

قالت بنفس الهدوء :

ـ المراقبة وحدها لا تكفى .. إننا نحتاج إلى إحصاء أنفاسه ، لو اقتضى الأمر ، فقد لا يذهب أبداً إلى حيث يحتفظون بـ (هارولد) ، بل يكتفى بإلقاء أوامره إلى رجاله فحسب .

سألها فى عصبية :

ـ وماذا نفعل فى هذه الحالة ، أيتها العبقرية؟

قالت فى حماس :

ـ نتسلل إلى منزله .. إلى نادى (الجولف) الذى يشترك فيه .. نزرع أجهزة تصنت فى هاتفه ، وسيارته ، وكل ركن من منزله ، وحتى فى علبة أدوات الجولف .. المهم أن نعثر على (هارولد) قبل مضى الفترة المنشودة ..

هتف فى حدة :

ـ أتعلمين أى أمر هذا ، الذى تطالبيننى به ؟ .. إنك تطلبين منى ـ وبكل بساطة ـ اقتحام منزل (جيمس إدوارد فوستر) نائب مدير جهاز المخابرات المركزية الأمريكية ، وزرع أجهزة تصنت فى كل ركن فيه ، كما لو كان حقلاً خالياً ، نزرع فيه بعض شتلات البرتقال .. لا أيتها الزميلة العزيزة .. إنك فى الواقع تطلبين المستحيل .

ابتسمت فى خبث ، وهى تقول :

ـ وماذا فى هذا .. ألست تسعى للحصول على اللقب؟

سألها فى توتر :

ـ أى لقب؟

أجابته :

ـ رجل المستحيل .

شعرت وهى تنطقها أنها ترتكب جرماً فى حق (أدهم صبرى) .. الرجل الوحيد الذى حمل يوماً هذا اللقب ، ولكنها ، وعلى الرغم من رغبتها الشديدة فى نجاح المهمة ، كانت تشعر بشىء من السعادة ؛ لأن أحداً لا يمكنه بلوغ مقدرة (أدهم صبرى) ..

ولكن (حسام) شعر بالتحدى ..

ومع التقاء حاجبيه ، تفجَّرت فى أعماقه روح الصراع والتحدى والعناد ، فاعتدل قائلاً :

ـ صدقت .. لابد من العمل ، للحصول على ما يبتغيه المرء .

وأزاح منظاره المقرِّب جانباً ، وهو يضيف :

ـ الليلة سأنقل الصراع إلى منطقة التحدى .

وانتصبت قامته فى اعتداد ، وهو يضيف :

ـ والخطر ..

* * *

شبك مدير المخابرات المصرية أصابع كفيه أمام وجهه ، والتقى حاجباه فى تفكير صامت عميق ، ورسم القلق خطوطه الواضحة على ملامحه ، مما حدا بمساعده إلى أن يسأله :

ـ أهناك ما يستحق كل هذا؟

التفت إليه المدير فى شرود لحظى ، ثم لم يلبث أن تلاشى ، وهو يقول :

ـ نعم .. أعتقد هذا .

سأله مساعده فى اهتمام :

ـ وما هذا الشىء ؟

هزّ المدير رأسه لحظات ، قبل أن يقول :

ـ قضية (هارولد دين) .. أتعتقد أن (حسام) و(منى) يمكنهما النجاح ، فى مثل هذه المهمة ؟

أجابه المساعد :

ـ ولم لا ؟ .. صحيح أنها ليست مهمة سهلة ، ولكن (حسام) هذا أثبت تفوقاً ملحوظاً فى تدريباته كلها ، ثم أنه داهية حقيقى ، وأراهن أنه يستطيع مواجهة كل رجال المخابرات الأمريكية .

مطّ المدير شفتيه ، وقال :

ـ لاداعى للمبالغة .

قال المساعد فى حماس :

ـ ولماذا تعتبرها مبالغة ياسيّدى ؟.. ألم نحقق انتصارات أعظم فيما مضى ؟

أومأ المدير برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ كان هذا فيما مضى .

بدا الضيق على وجه المساعد ، وهو يقول :

ـ تقصد فى الأيام الذهبية لـ (أدهم صبرى) .. أليس كذلك ؟

هزّ المدير كتفيه ، قائلاً :

ـ ربّما .

لوّح مساعده بكتفه ، وقال :

ـ أعلم أنك لم تنس بعد ذلك الرجل ياسيّدى ، وأنك تشعر بعد رحيله بخواء كبير ، فى قسم الأعمال الخارجية والمهمات الصعبة ، ولكنها حتمية الكون ياسيّدى .. لكل شىء نهاية ، و (أدهم صبرى) هذا مجرّد بشر ، ومصير البشر كلهم الفناء ، والحكمة القديمة تقول : «لايوجد من لايمكن الاستغناء عنه» كما أن القبور مليئة بأولئك ، الذين ظنوا أن الحياة لن تسير بدونهم .. كلهم فنوا ، وانتهوا ، وواصلت الحياة طريقها ، و...

قاطعه المدير بإشارة من يده ، وهو يقول :

ـ حسناً .. لاداعى لهذه المحاضرة الطويلة .. أعلم أن (أدهم صبرى) قد انتهى ، وأن (حسام حمدى) هو رجلنا الجديد ، للمهام الصعبة والمستحيلة ، ولكن من الطبيعى أن أشعر بالقلق ، وهو يخوض أولى عملياته العسيرة ، فعلى الرغم من تفوقه الكبير فى كل الاختبارات والتدريبات ، فالعمل الفعلى يختلف كثيراً ، إذ أنه يحتاج إلى مزيج من الحكمة والخبرة والتفوّق .

قال مساعده فى حزم :

ـ سترى أن (حسام) سيحقق نجاحاً مدهشاً ، فى المهمة .

صمت المدير لحظات ، ثم قال فى خفوت :

ـ هذا ما أتمناه .

وصمت لحظة أخرى ، ثم استطرد :

ـ أتعلم .. لو حقق (حسام) ، فى مهمته هذه ، ذلك النجاح الذى ترجوه ، فلن أتردد فى أن أمنحه بنفسى لقب (أدهم صبرى) السابق .

وامتلأ صوته بالحزم ، وهو يضيف :

ـ لقب (رجل المستحيل) .

* * *

٤ ـ القنبلة ..

كانت عقارب الساعة تشير إلى الواحدة بعد منتصف الليل ، عندما أوقفت (منى) سيارتها الرياضية الأنيقة ، أمام منزل (جيمس فوستر) مباشرة ، وهى تضع على رأسها شعراً أشقر مستعاراً ، وعلى عينيها عدستين زرقاوين ، وتبالغ فى وضع مساحيق وجهها ، مع ثوب زاهى الألوان ، وغادرت السيارة متجهة إلى المنزل ، وهى تلقى نظرة هادئة على حارسيه ، اللذين امتدت أيديهما إلى ستراتهما المنتفخة ، تحفزاً لأى طارئ ..

وفى هدوء مثير ، قالت (منى) بالأمريكية ، وهى تضفى على حروفها لكنة ذات نهايات ممطوطة متعمدة :

ـ أريد مقابلة مستر (فوستر) .

سألها أحد الحارسين فى خشونة :

ـ أهناك موعد سابق ؟

هزت رأسها نفياً ، وقالت :

ـ لا .. لم أطلب تحديد مواعيد سابقة ، ولكننى أعتقد أن مستر (فوستر) سيوافق على مقابلتى .

ابتسم الحارس الثانى فى سخرية ، وهو يقول :

ـ ومن أقنعك بهذه الفكرة الغبية .

رمقته بنظرة ساخرة بدورها ، وهى تقول :

ـ (هارولد) .. (هارولد دين) .

التقى حاجبا الحارسين ، وتبادلا نظرة خاصة ، ثم سألها الأول بنفس الخشونة :

ـ من قلت ؟..

قالت فى صرامة :

ـ أخبر مستر (فوستر) أننى أرغب فى مقابلته ، بشأن (هارولد دين) .

رمقها الرجل لحظات بنظرة حادة ، ثم التقط جهاز اللاسلكى الخاص به ، وقال دون أن يرفع عينيه عنها :

ـ هناك امرأة تطلب مقابلة مستر (فوستر) ، وتقول : إن هذا بشأن (هارولد) .

قالت فى برود :

ـ قل : سيدة أيها الوقح ، ولا تقل : إمرأة .

عاد يرمقها بنظرته الحادة ، وهو يلصق جهاز اللاسلكى بأذنه ، ليستمع إلى الجواب ، ثم لم يلبث أن قال :

ـ سيستقبلك مستر (فوستر) على الفور .

ابتسمت فى سخرية ، قائلة :

ـ ألم أقل لك ؟

انعقد حاجباه فى صرامة ، وهو يقول :

ـ سيتم تفتيشك أولاً .

تراجعت قائلة فى حزم :

ـ لن أسمح لأحدكم بلمسى .

ابتسم ساخراً ، وهو يقول :

ـ اطمئنى .. لن يلمسك أحد .

وفتح باب المنزل ، ودعاها للدخول ، ولم تكد تعبر الباب ، حتى ارتفع أزيز متصل ، فتوقفت لحظة ، ثم عاودت السير ، وهى تقول :

ـ إنه جهاز كشف أسلحة .. أليس كذلك؟

غمغم :

ـ نعم .. وهو ليس وسيلة الفحص الوحيدة ، فمعظم الأسلحة تصنع من البلاستيك والألياف الزجاجية الآن ، فى (تايوان) و(سنغافورة) ، و(هونج كونج) ، وأصبح من السهل خداع جهاز كشف الكذب(*) .

سألته ساخرة :

ـ وما الأشياء الأخرى التى سنعبرها؟

أجابها وكأنه يتباهى بقوته :

ـ الكثير .. هناك جهاز لأشعة (رونتجن)(* *)، وجهاز كشف أجهزة التصنت، وغيرها ..

تمتمت :

ـ عظيم .. هل يشعر رئيسك بكل هذا الخوف ، طيلة الوقت؟

رمقها بنظرة نارية ، دون أن يجيب ، وظل على صمته هذا ، وهما يعبران الممر الطويل ، وأزيز الأجهزة المختلفة ينطلق ، من لحظة إلى أخرى ، حتى بلغا باباً كبيراً ، دفعه الرجل ، قائلاً :

(*) حقيقة

(* *) أشعة (رونتجن): هى الأشعة المعروفة باسم أشعة (×)، أو الأشعة السينية ، واسم أشعة (رونتجن) ينسبها إلى مخترعها .

ـ ادخلى .

ـ عبرت (منى) الباب لتجد أمامها (فوستر) مباشرة ، يقف داخل مكتبة ضخمة ، تكتظ بآلاف الكتب والمراجع ، ويرمقها بواحدة من نظراته الحادة ، قائلاً :

ـ مساء الخير ياسيدتى .. أم هل أقول صباح الخير؟ إنها الواحدة صباحاً تقريباً .. أليس كذلك؟

هزت كتفيها ، قائلة :

ـ لست أدرى ، فلا أميل إلى ارتداء ساعات اليد .

قال فى برود :

ـ عجباً! .. هذا يتعارض تماماً مع نظم العمل فى المخابرات .

أطلقت ضحكة قصيرة ، قائلة :

ـ حقاً؟!

ثم جالت ببصرها فى المكان ، مستطردة :

ـ ألا يوجد مقعد واحد ، يصلح للجلوس؟ .

أجاب وهو يفحصها بنظراته الحادة :

ـ أتظنين أن حديثنا سيحتاج إلى كل هذا الوقت؟

هزت كتفيها دون أن تجيب ، فسألها :

ـ ما علاقتك بـ (هارولد دين)؟

قالت على الفور :

ـ كم تطلب أنت ثمناً له؟

ارتفع حاجباه فى دهشة ، وهو يقول :

ـ ثمناً له؟!.. أى قول هذا ياسيدتى .. أتدركين حقاً طبيعة الموقف؟

أومأت برأسها إيجاباً ، وقالت :

- بالطبع ، وأدرك أن هذا يتعارض تماماً مع طبيعة عملنا ، ولكن ..

قاطعها فى حزم :

- إلى أية دولة تنتمين ؟

قهقهت ضاحكة ، وهى تقول :

- ياله من سؤال !.. أتتوقع الحصول على الجواب فى سهولة ؟

قال فى صرامة :

- يمكننى الحصول عليه بوسائل أكثر صعوبة .. لك .

قهقهت ضاحكة مرة أخرى ، وقالت :

- لاتحاول إخافتى وإرهابى يا مستر (فوستر) ، فمن المؤكد أننى لم أحضر لمقابلتك ، دون تأمين موقفى .. أليس كذلك ؟

قال فى حدة :

- وماذا يمكنك أن تفعلى ، لو ألقيت القبض عليك الآن ؟

هزّت كتفيها مرة أخرى ، وقالت :

- بالنسبة لى لن أفعل شيئاً ، ولكن رفاقى سيفعلون .

قال فى حذر :

- يفعلون ماذا ؟

سألته :

- قل لى أوّلاً : كم الساعة بالضبط ؟

ألقى نظرة سريعة على ساعة يده ، وقال :

- الواحدة وتسع دقائق ، إلا بضع ثوان .

هتفت :

- عظيم .. بعد دقيقة واحدة ، وبضع ثوان ، سينفجر الجناح الخلفى لمنزلك .

تراجع هاتفاً :

- ماذا ؟

قالت بابتسامة واثقة :

- انتظر .. وسترى .

انعقد حاجباه فى شدة ، وهو يتطلع إلى ساعته ، ثم اندفع إلى باب المكتبة ، وهتف بأحد رجاله :

- (توم) .. قف على باب الحجرة ، ولاتسمح لتلك السيدة بالخروج .

واندفع خارج المكان ، تاركاً (منى) وحدها ، وأغلق الباب خلفه فى إحكام ..

وهنا ألقت (منى) نظرة سريعة على بابىْ الحجرة .. ذلك الذى يقود إلى خارج المنزل ، والآخر الذى يقود إلى داخله ، ثم أسرعت إلى النافذة ، وفتحتها على مصراعيها وغمغمت :

- أتعشّم أن يكون تصويبك دقيقاً يا (حسام) ، مثل ..

بترت قولها ، وارتسمت فى ذهنها صورة (أدهم) لحظة ، قبل أن تهزّ رأسها فى قوة ، قائلة :

- لا .. ينبغى أن يحصل (حسام) على فرصة كاملة .

مضت اللحظات بالنسبة إليها أشبه بالدهر ، وأصوات ذلك الاضطراب ، الذى أصاب المنزل ، تبلغ مسامعها ، وبدا لها من الواضح أن (فوستر) ورجاله يحاولون إخلاء الجناح الخلفى من الرجال ، ومن الأشياء الهامة ، قبل حدوث الانفجار ، و..



واندفع خارج المكان ، تاركا (منى) وحدها ، وأغلق الباب خلفه فى إحكام ..

ودوى الانفجار ..

انفجار مكتوم ، دوى بارتجاج خفيف ، هتفت معه (منى) :

ـ الآن ..

وفى نفس اللحظة رأت ماكانت تنتظره ..

سهم عادى ، يشق الهواء ، فى اتجاه النافذة ..

ثم يعبرها ..

وعند قدميها ، ارتطم السهم بالأرض ، وانكسر إلى نصفين ، وسقط منه كيس صغير ، أسرعت (منى) تلتقطه ، وهى تهتف فى حرارة :

ـ رائع يا (حسام) .. رائع .

فتحت الكيس فى سرعة ، والتقطت من داخله جهازى تصنت صغيرين ، أسرعت تدسّ أحدهما فى المكتبة ، والآخر عند الحائط المتصل بالمنزل من الداخل ، ثم عادت تغلق النافذة ، وحطمت السهم إلى قطع صغيرة ، ألقتها فى حقيبة يدها الصغيرة ، وطوت الكيس إلى جوارها ، وأغلقت حقيبتها ، فى نفس اللحظة التى دفع فيها (فوستر) باب الحجرة ، وقال فى حدة :

ـ أى عبث هذا ؟

كانت تشعر بتوتر شديد ، ولكنها أرغمت نفسها على الابتسام ، وهى تقول :

ـ أتقصد أن القنبلة لم تنفجر فى الجناح الخلفى ؟.. بالطبع يا مستر (فوستر) .. لقد انفجرت على بعد أمتار منه .. أليس كذلك ؟ .. لقد قصدنا هذا يا مستر (فوستر) ، فنحن لا نرغب فى مناصبتك العداء ، بل نحاول تنبيهك فقط إلى أننا لسنا بالمبتدئين أو الهينين ، وأن التفاوض معنا خير من قتالنا .

رمقها بنظرة حادة طويلة صامتة ، ثم قال:

ـ ومن أنتم بالضبط ؟

اعتدلت قائلة :

ـ ستعلم فيما بعد .

ثم استدارت مستطردة :

ـ أما الآن ، فسأنصرف ، و..

قفز نحوها ، وأمسك يدها فى قوة ، هاتفاً :

ـ مهلًا .. الانصراف من هنا ليس هيّناً كما تظنين .

قالت فى صرامة .

ـ وماذا ستفعل ؟.. هل تعتقلنى أم تقتلنى ؟

صمت متطلعًا إليها ، فأضافت :

ـ ولتعلم أننى أحمل جواز سفر دبلوماسيًا ، ولقد تم التقاط فيلم كامل لى ، وأنا أدخل إلى منزلك ، ولست أظنك ترغب فى بعض المشاكل الدبلوماسية يا مستر (فوستر) .. أليس كذلك ؟

بدا الغضب على وجهه ، وأصابعه تنغرس فى ذراعها بقوة ، ثم لم يلبث أن أفلتها ، قائلًا فى حدة :

ـ فليكن .. يمكنك الانصراف ، ولكن حذار .. فلن تجدى هذه اللحظة شبراً واحداً للاختلاء بنفسك ، فى الولايات المتحدة الأمريكية كلها .

قالت فى صرامة :

ـ حذار أنت من أن تدفع رجالك لمراقبتى ، وإلا .

قاطعها فى غضب :

ـ وإلا ماذا ؟

ابتسمت فى سخرية ، وقالت :

ـ ستعلم فيما بعد .

تطلّع إليها فى صمت حاد ، ثم ضغط زرًّا صغيرا خفيًّا ، فظهر الرجل الذى قاد (منى) إلى الداخل ، وقال له (فوستر) :

ـ اصحب السيدة إلى الخارج ، ودعها تتصرف دون مشاكل .. هل تفهم ؟

أومأ الرجل برأسه إيجاباً ، وقال :

ـ أفهم يا سيدى .

لوّحت (منى) بكفها لـ (فوستر) ، قائلة :

ـ سنلتقى فيما بعد يا عزيزى (فوستر) .

تركها (فوستر) تتصرف ، ثم انعقد حاجباه فى شدة ، وأدار عينيه فى المكتبة ، قبل أن يغمغم:

ـ لايمكنك خداعى أبداً أيتها المرأة .. لقد أتيت إلى هنا لعمل ما ، وسأعلم حتماً ما هو .. لايمكنك خداع (جيمس فوستر) أبداً .. أبداً ..

والتمعت عيناه ببريق حاد مخيف ..

بريق يحمل لون الخطر ..

.. ورائحة الدم .

* * *

٥ ـ خدعـة ..

ساد الهدوء التام ملاعب الجولف ، فى الثالثة صباحاً ، وكان من العسير أن ينتبه مخلوق واحد إلى ذلك الشاب ، الذى عبر سور الملاعب فى مرونة ، وانطلق يعدو فوق الحشائش القصيرة فى خفة ، مقترباً من المبنى الرئيسى ، فى ركن المساحة الخضراء الشاسعة ، حتى بلغ باب المبنى ، فانحنى يعالج رتاجه فى مهارة يُحسد عليها ، حتى استجاب له الرتاج ، وانزلق بصوت مكتوم ، فدفع الشاب الباب ، ودلف إلى المبنى فى حركة سريعة ، ثم أغلق الباب خلفه ، والتصق بالحائط فى صمت ، وهو يرهف سمعه جيداً ..

كانت خطوات حارس المكان تبدو واضحة ، وهو يسير فى الممشى المجاور جيئة وذهاباً ، ثم يفتح بعض الحجرات لتفقدها ، قبل أن يعاود سيره ..

وكان من الواضح أنه حارس نشط ، إذ أنه لم يتوقف عن الحركة طيلة نصف ساعة كاملة ، قضاها الشاب ملتصقاً بالحائط.. مستترًا بظلام الركن الذى يختبئ فيه ، حتى تمتم فى ضيق :

ـ يبدو أنه لامفر من الحركة .

غادر موقعه فى خفة ، مستغلًا ابتعاد الحارس ، وعبر الممر الطويل فى سرعة ، حتى بلغ حجرة محدودة مسبقاً ، فدفع بابها ،

ودخلها فى سرعة ، ثم أغلق الباب خلفه فى حذر ، وأخرج مصباحاً يدوياً ، صوّبه إلى الحجرة التى تحوى عدة دواليب خشبية ، ذات واجهات زجاجية ، اصطفّت داخلها حقائب أدوات الجولف ، وكل منها تحمل اسم صاحبها ، وراح الشاب يقرأ الأسماء المدوّنة على الحقائب ، حتى بلغ تلك الحقيبة ، التى تحمل اسم (جيمس فوستر) ، فابتسم فى ارتياح ، متمتماً :

ـ هاهو ذا الهدف .

أمسك المصباح بأسنانه ، وهو يعالج قفل الدولاب ، حتى فتحه ، مستخدماً أداة رفيعة ، ثم فتح الدولاب ، والتقط الحقيبة ، وأفرغ محتوياتها فى حرص ، وانتزع قاعدتها الداخلية فى عناية ، وأخرج من جيبه أداة تصنت دقيقة ، ثبتها فى ركن الحقيبة ، ثم أعاد القاعدة الداخلية إلى موضعها ، وعاد يصف المحتويات داخل الحقيبة ، وأعادها إلى مكانها داخل الدولاب ، قبل أن يعيد إغلاقه بمنتهى الحرص ، و...

وفجأة انفتح الباب ، وارتفع صوت الحارس ، وهو يهتف فى دهشة :

ـ ماذا تفعل هنا ؟

قالها الحارس وهو ينتزع مسدسه ، من جرابه المثبت بحزامه ، ولكن (حسام) تحرّك فى سرعة وخفة ، وقفز نحو الحارس ، ثم ركل المسدس من يده ، وهو يقول فى صرامة :

ـ تسألنى ماذ تفعل هنا ؟

وهوى على فكه بلكمة عنيفة مستطرداً :

ـ ياله من سؤال وقح !

كانت اللكمة قوية بالفعل كالقنبلة ، فاندفع الحارس إلى الخلف فى عنف ، وارتطم بالحائط ، ثم ارتدّ إلى الأمام ، فاستقبلته قبضة (حسام) بلكمة أشد قوة ، وهو يقول :

- لن أخبرك عن السبب بالطبع .

سقط الحارس فاقد الوعى ، عند قدمى (حسام) ، الذى أزاحه جانباً فى هدوء ، ثم قال :

- مواجهتنا هذه تفسد هدوء اللعبة يا رجل ، وتضطرنى إلى تبديل خطتى بعض الشىء .

ثم اتجه فى هدوء إلى حجرة مدير النادى ، وألقى نظرة على الخزانة المجاورة لمكتبه ، وابتسم قائلاً :

- واستغلال بعض مهاراتى الأخرى .

ثم اتجه إلى الخزانة ، وسحب مقعداً ، ليجلس أمامها فى هدوء ، ويبدأ فى معالجة رتاجها الإليكترونى ..

ويثبت مهارته ..

* * *

لم تكد عقارب الساعة تشير إلى الخامسة صباحاً ، حتى دفعت (منى) باب ذلك المنزل ، الذى استأجرته المخابرات المصرية ، فى مواجهة منزل (فوستر) ، وهتفت بـ (حسام) ، الذى جلس هادئاً فى ردهة المنزل ، ينظف مسدسه :

- هل أنهيت مهمتك بنجاح؟

أومأ برأسه إيجاباً ، وسألها :

- وماذا عن مهمتك أنت؟

ألقت جسدها على مقعد مقابل له ، وهى تهتف :

- كل شىء سار على ما يرام .. وأنت كنت رائعاً ، عندما صوبت السهم إلى نافذة مكتب (فوستر) ، وأطلقته بهذه المهارة .

ابتسم قائلاً :

- يسعدنى أن فعلت شيئاً أثار إعجابك .

تابعت وكأنها لم تسمع هذا التعليق :

- وعندما سمح لى (فوستر) بالانصراف ، أدركت أنه لن يسمح بخروجى دون مراقبة ، على الرغم من أنه أمر رجاله بهذا ، وكنت على حق ، فالعبارة الرزينة ، التى ألقاها على مسامع حارسه أمامى ، كانت تعنى بلغتهم معنى مخالفاً تماماً لمنطوقها ، إذ لم أكد أنطلق بالسيارة ، حتى انطلقت واحدة من سياراتهم خلفى ، وهم يستخدمون مناظير للرؤية الليلية ، بحيث لا يحتاجون إلى إضاءة مصابيح سياراتهم ، ولكننى لمحتهم ، وكنت واثقة من أنهم قد دسوا جهاز مراقبة فى سيارتى ، فى أثناء وجودى مع (فوستر) ؛ ولهذا فقد قدت السيارة إلى منطقة بعيدة ، ثم تركتها فى موقف عام للسيارات ، ورحت أراوغ المطاردين طيلة أربع ساعات ، فأدخل إلى مكان ما ، وأفر عبر سطحه إلى آخر ، وأنتقل من هيئة إلى هيئة ، حتى نجحت فى تضليلهم تماماً ، ووصلت إلى هنا .

قال مبتسماً :

- رائع .

ثم التقط نفساً عميقاً ، قبل أن يضيف :

- الآن يمكننا مراقبة (جيمس فوستر) كظله ، فجهازى التصنت ، اللذين تمت زراعتهما فى منزله ، من القوة بحيث يمكنهما نقل كل همسة تدور داخل المنزل ، وكذلك الجهاز الذى دسسته فى حقيبة الجولف .

سألته فى اهتمام :

ـ هل أخفيته جيداً ؟

أجابه :

ـ بالطبع ، ولكن الحارس فاجأنى ، بعد أن انتهيت من مهمتى ، فاضطررت إلى إفقاده الوعى .

هتفت فى ارتياع :

ـ يا إلهى !.. ولكن هذا يُفسد اللعبة كلها .

هزّ رأسه نفياً ، وقال :

ـ ليس تماماً ، فلقد لجأت عندئذ إلى حل بسيط ، إذ استوليت على محتويات خزانة النادى ، بحيث يبدو الأمر كما لو أننى مجرّد لص عادى .

قالت فى قلق :

ـ فلنتعشم أن يقتنعوا بهذا .

هزّ كتفيه ، وقال :

ـ ولمَ لا ؟.. كل ما حدث ينطبق على أفعال اللصوص تماماً .

التقى حاجباها ، وهى تقول :

ـ ربّما يا (حسام) .. ربّما .. صحيح أننا أعددنا كل شىء فى مهارة ، ولكن لاتنس أننا لانواجه خصمًا عاديًا ، بل نواجه الثعلب نفسه .. ثعلب المخابرات .

★ ★ ★

شعر (جيمس فوستر) بالدهشة ، وهو يدلف إلى ناديه فى الصباح ، عندما رأى رجال الشرطة يملأون المكان ، وبعضهم يفحص حجرة المدير ، والخزانة المفتوحة الخالية ، فاتجه إلى المدير يسأله :

ـ ماذا حدث يا مستر (كارل) ؟

لوّح المدير بكفيه قائلاً :

ـ لاشىء يدعو للقلق يا مستر (فوستر) .. إنها حادثة سرقة عادية ، ولكن اللص كان سيئ الحظ ، فلم يكن بالخزانة سوى ألف دولار فحسب .

ردّد (فوستر) فى بطء عجيب :

ـ ألف دولار ؟! .. وكيف ارتكب جريمته ؟

أجابه المدير :

ـ لقد تسلّل عبر الملاعب ، إلى المبنى الإدارى ، وفتح الخزانة فى مهارة ، و...

قاطعه (فوستر) فى اهتمام :

ـ وأين كان الحارس ؟

أجابه المدير فى أسف :

ـ لقد فاجأه الحارس فى حجرة الأدوات ، ولكن اللص هاجمه ، وأفقده الوعى ، و..

قاطعه (فوستر) مرة أخرى :

ـ فى حجرة الأدوات ؟!.. وما الذى كان يفعله اللص ، فى حجرة الأدوات ؟

هزّ المدير كتفيه ، قائلاً :

ـ ربما كان يبحث عن الخزانة ، أو ..

وللمرة الثالثة ، قاطعه (فوستر) :

ـ يبحث عنها ؟!.. هل تحاول إقناعى بأن لصاً محترفاً قد اقتحم المكان ، لسرقة الخزانة ، دون أن يعلم موضعها مسبقاً ؟

أجابه المدير فى توتر :
ـ لست أحاول إقناعك بشىء يا مستر (فوستر) .. إننى أرجح هذا فحسب .
مط (فوستر) شفتيه ، وقال فى برود :
ـ بالتأكيد .
ثم اتجه فى خطوات واسعة إلى الهاتف ، والتقط سماعته ، وهو يستطرد لنفسه فى خفوت :
ـ ولكن عقلى يشعر بالقلق .
ضغط أزرار الهاتف فى سرعة ، وانتظر حتى سمع صوت محدثه ، فقال :
ـ إنه أنا يا (دانى) .. رئيسك (فوستر) .. اسمعنى جيداً .. أريدك هنا على الفور ، فى نادى (الجولف) .. هيا .. بأسرع ما يمكنك .
أنهى المحادثة ، دون أن ينتظر جواباً ، ثم اتجه إلى حجرة الأدوات ، وقال للعامل الكهل ، المسئول عنها :
ـ أين حقيبتى يا (جون) ؟
ناوله العامل الكهل الحقيبة ، وهو يقول :
ـ ها هى ذى يا مستر (فوستر) .. إننى أعتنى بها جيداً .
التقط (فوستر) الحقيبة ، وفحصها فى اهتمام ، ثم أفرغ العصى كلها منها ، وأخذ يتطلع إليها فى حذر ، جعل العامل يسأله قلقاً :
ـ ماذا هناك يا مستر (فوستر) ؟ .. هل تجد عيباً فى أدواتك؟
هز (فوستر) رأسه نفياً ، وقال :

ـ لا يا (جون) .. لست أجد بها عيباً .
وصمت لحظة ، ثم أضاف فى حزم :
ـ أقصد عيباً واضحاً .
ثم رفع رأسه إلى (جون) ، وقال :
ـ اسمع يا (جون) .. يبدو أننى لن أستخدم هذه الأدوات اليوم .. أجمعها كلها ، وضعها فى حقيبة مستر (كول) ، واحضر لى كل أدوات مستر (كول) كما أريد كرات جديدة .
سأله العامل فى دهشة :
ـ ولماذا كل هذا يا مستر (فوستر) ؟
أجابه فى برود :
ـ اعتبره نوعاً من التمسك بالخرافات يا (جون) ولكن نفذ ما أمرتك به .
أطاعه العامل الكهل فى حيرة ، فأحضر حقيبة (كول) ونقل محتوياتها إلى حقيبة (فوستر) ، ثم صنع العكس بأدوات هذا الأخير ، وقال :
ـ أتأمر بشىء آخر يا مستر (فوستر) ؟
أجابه (فوستر) ، وهو يلتقط حقيبته ، التى تحوى أدوات (كول) :
ـ نعم يا (جون) .. أريد منك أن تعطى حقيبة (كول) ، وبها أدواتى ، إلى مستر (دانى) ، عندما يحضر بعد قليل ، وتطلب منه فحصها جيداً .. هل تفهم ؟
أومأ الرجل برأسه إيجاباً ، وقال :
ـ نعم يا مستر (فوستر) .. أفهم .. أفهم تماماً .



أطاعه العامل الكهل فى حيرة ، فأحضر حقيبة (كول) ونقل محتوياتها إلى حقيبة (فوستر) ..

أخرج (فوستر) من جيبه ورقة وقلماً ، ودوّن بعض الكلمات فى الورقة ، ثم طواها وناولها لـ (جون) ، قائلاً :

ـ أعطه هذا الأمر الكتابى لتنفيذ هذا .

وضحك مستطرداً :

ـ إنك تدرك تعقيدات البيروقراطية .. أليس كذلك؟

ابتسم (جون) ابتسامة مرتبكة ، وهو يقول :

ـ بلى يا مستر (فوستر) .. بلى .

حمل (فوستر) حقيبة أدواته فى هدوء ، واتجه إلى ملعب الجولف ، وراح يضرب الكرات الجديدة فى دقة وهدوء مثيرين ، حتى ظهر (دانى) بجسده الضخم ومنظاره الداكن ، واتجه إليه عبر الملعب ، وقال :

ـ صباح الخير أيها الرئيس .

قال (فوستر) ، وهو يضرب كرته فى هدوء :

ـ صباح الخير يا (دانى) .. هل تسلّمت الأشياء من (جون) ؟

أومأ (دانى) برأسه إيجاباً ، وقال :

ـ نعم .. تسلمتها كلها ، وسيتم فحصها جيداً .

سار (فوستر) حتى موضع الكرة الجديد ، وهو يقول لـ (دانى) ، الذى تبعه فى صمت وهدوء :

ـ عظيم .. والآن أريد منك أن تذهب على الفور إلى المنزل الآمن رقم (ثمانية) ، وتقوم بنقل (هارولد) إلى المنزل رقم (تسعة) .

قال (دانى) معترضاً :

ـ ولكننا نقلناه إلى رقم (ثمانية) أمس فحسب .

قال (فوستر) فى صرامة :

- نفذ الأوامر .
مطّ (دانى) شفتيه ، وقال :
- كما تأمر أيها الرئيس .
واستدار منصرفًا ، دون أن يضيف حرفًا واحدًا ..
وفى نفس اللحظة ، وفى سيارة أنيقة ، تقف خارج نادى (الجولف) ، هتف (حسام) ، الذى نقل إليه جهاز التصنت ، المثبت فى حقيبة (فوستر) ، كل حرف تبادله هذا الأخير مع (دانى) :
- نجحت خطتنا أيتها الرائد .. سيذهب (دانى) الآن إلى حيث يحتفظون بـ (هارولد) .
سألته (منى) فى انفعال :
- أتظننا نستطيع تتبعه ، دون أن ينتبه إلى وجودنا ؟
أجابها فى حزم ، وهو يلتقط حقيبته الصغيرة :
- بالتأكيد .
قالت محذّرة :
- لاتنس أنه محترف ، وسيكشف أمرنا فى سهولة .
قال مبتسمًا :
- أعلم هذا .
والتقط من حقيبته جهاز مراقبة صغير ، فى حجم زر قميص عادى ، وهو يقول :
- سنترك لصديقنا الصغير هذا المهمة كلها .
قالها وغادر السيارة فى خفة ، واتجه إلى حيث سيارة (دانى) وهناك أسقط منديله ، فى حركة بدت طبيعية للغاية ، وانحنى

ليلتقطه ، واستند مع تلك الانحناءة على حقيبة سيارة (دانى) ، على نحو بدا أكثر طبيعية ..
وفى مهارة ، ألصق (حسام) جهاز المراقبة الدقيق ، فى جزء خفى من الحقيبة ، ثم اعتدل ، وواصل طريقه فى هدوء .
وفى أعماقها ، اعترفت (منى) بمهارته ..
كان مخلصًا فى عمله بالفعل ، وذكيًا وجريئًا فى أدائه ..
وهذا هو المطلوب ..
وعندما عاد إلى السيارة ، قالت فى إخلاص :
- أحسنت .
ابتسم قائلًا :
- أشكرك .
وانتظر فى صمت ، حتى ظهر (دانى) ، وهو يحمل حقيبة (كول) ، وأدوات (فوستر) ، واتجه إلى سيارته ، فألقى الحقيبة داخلها ، ثم جلس خلف عجلة السيارة ، وانطلق بها على الفور ..
وفى هدوء شديد ، أخرج (حسام) من حقيبته جهازًا صغيرًا ، ظهرت فوقه نقطة مضيئة حمراء ، وقال :
- ها هوذا صديقنا (دانى) .. بهذا الجهاز الصغير يمكننا تتبعه ، حتى نبلغ موضع صديقنا (هارولد) .
وأدار محرّك سيارته بدوره ، وانطلق بها فى هدوء ، وهو يتتبع مسار تلك النقطة الحمراء المضيئة ، على شاشة جهازه ، والتى تحدّد موقع ومسار سيارة (دانى) ..
وانطلق (دانى) خارج المدينة ..
خارج (نيويورك) كلها .

ثم انحرف عند منطقة ريفيه شاسعة ، على مشارف المدينة ، وعبرها إلى دغل قريب ، حتى توقف داخل الدغل عند كوخ خشبى صغير ، وغادر سيارته ، وضغط نفيرها ثلاث مرات متباعدة ، لخرج من الكوخ رجل ضخم آخر ، يحمل مدفعاً آلياً ، لوّح بكفه لـ(دانى) ، قائلاً :

ـ مرحباً يا صديقى .. هل من أوامر جديدة؟

أجابه (دانى) بصوت مرتفع :

ـ نعم .. سننقل الجاسوس إلى منزل آخر .

وعلى بعد عدة أمتار ، وسط الدغل الكثيف ، خفض (حسام) منظاره المقرّب عن عينيه ، وقال فى ظفر :

ـ ها هوذا الهدف .

ولكن (منى) لم تشاركه هذا الإحساس بالظفر ، بل كانت تشعر بالقلق ..

القلق بلا حدود .

* * *



٦ ـ هارولد ..

اجتاز (فوستر) باب مكتبه فى خطوات سريعة عنيفة كعادته ، وسأل أحد رجاله فى اهتمام بالغ ، وهو يجلس خلف المكتب :

ـ هل اتصل (دانى)؟

أجابه الرجل ، وهو يمسك سماعة الهاتف :

ـ إنه على الهاتف ، ويقول : إنه بلغ المنزل رقم (ثمانية) ، ويسأل : هل يمضى فى الخطة حتى النهاية؟

قال (فوستر) فى اهتمام :

ـ سله : هل تتبعه أحد؟

ألقى الرجل السؤال إلى (دانى) ، عبر أسلاك الهاتف ، واستمع إليه فى اهتمام ، ثم قال لـ(فوستر) :

ـ يقول : إنه لم يلمح أحداً خلفه .

عقد (فوستر) حاجبيه ، وهو يفكّر فى عمق وصمت ، ثم قال فى حزم :

ـ قل له : أن يستمر فى الخطة .

قال الرجل عبر الهاتف :

ـ استمر يا (دانى) .

ثم أنهى المحادثة ، والتفت إلى (فوستر) ، يسأله :

ـ هل نتوقع شيئاً من هذا يا سيّدى؟

أجابه (فوستر) فى اقتضاب :

- الكثير .
كان من الممكن أن يكتفي بهذا الرد المقتضب كعادته ، إلا أنه وجد في نفسه الرغبة في الحديث، فتابع بعد وهلة من الصمت :
- خصومنا يتصورون أنهم الأذكى هذه المرة ، ومن الضروري أن نلقنهم درساً قاسياً ، يعلمهم أن المخابرات المركزية الأمريكية هي الأقوى دائماً .
وتراجع في مقعده في زهو واضح ، مستطرداً :
- ولا بأس من بعض المرح .
ردد رجله ، وهو يتطلع إليه في دهشة :
- المرح ؟!
برقت عينا (فوستر) ، ببريق يناسب لقبه كثيراً ، وهو يقول :
- نعم يا عزيزي .. المرح في عملنا أمر ضروري ، يجدد نشاطنا ، ويمنحنا المزيد من الثقة والفخر .
ثم نهض من خلف مكتبه فجأة ، مستطرداً :
- هيا يا رجل .. اطلب إعداد الهليوكوبتر المصفحة ، الخاصة بي .
وعادت عيناه تتألقان في جذل عجيب ، وهو يستطرد :
- لا ينبغي أن يفوتنا الحفل .
وبعدها فعل شيئاً لم يفعل مثله منذ فترة طويلة :
لقد قهقه ضاحكاً ..
وبمنتهى المرح .

* * *

جذب (حسام) مشط مسدسه في حزم ، وهو يراقب الكوخ

الخشبي ، فسألته (منى) ، وهي تعد مسدسها بدورها :
- هل تنوي مهاجمتهم مباشرة ؟
سألها في لهجة أقرب إلى السخرية :
- ألديك اقتراح آخر ؟
مطت شفتيها ، قائلة :
- لا .. ليس لدي أية اقتراحات أخرى .
بدا أمامهما أربعة من المسلحين ، يغادرون الكوخ مع (داني) ، وبينهم رجل مقيد ، يختفي وجهه تحت لثام سميك ، وهم يدفعونه أمامهم في غلظة ، نحو سيارة (داني) ، فصوبت (منى) مسدسها إليهم ، وهي تتمتم :
- ها هوذا (هارولد) .. يمكننا البدء ، على بركة الله (سبحانه وتعالى) ، و...
قاطعها (حسام) بغتة :
- مهلاً .
التفتت إليه ، تسأله في دهشة :
- ألن نبدأ الهجوم ؟
هز رأسه نفياً ، وهو يعيد مسدسه إلى غمده ، قائلاً :
- لا .. ليس الآن .
هتفت في خفوت :
- أنتركهم يرحلون به ، أمام بصرنا وسمعنا ؟
ابتسم قائلاً :
- لن يذهبوا بعيداً .. إنهم سيستقلون سيارة (داني) العزيز .. ألم تنتبهي إلى هذا ؟. دعينا نسمح لهم بمغادرة المكان يا عزيزتي ، فهم الآن في قمة تحفزهم وانتباههم ، وسنتبعهم

حتى يصلوا إلى المنزل الجديد ، وبعد أن يستقر بهم الحال هناك ، وتهدأ نفوسهم ، سنضرب ضربتنا ، ونستغل عامل المفاجأة ، الذى لن يمكننا استغلاله أبداً ، وهم يتحفزون هكذا .

بدت لها فكرته ذكية بالفعل ، واعترفت فى أعماقها أنه ذكى وبارع ، فأعادت مسدسها إلى غمده ، وقالت :

ـ أنت على حق .

رمقها بنظرة جانبية صامتة ، وانتظر حتى انطلق الرجال مع أسيرهم بالسيارة ، ثم قال فى حزم :

ـ هيا بنا .

انطلقا إلى سيارتهما ، واستقلاها ، وراحا يتابعان تلك النقطة المضيئة مرة أخرى ، عبر طرق جانبية وعرة ، حتى بلغا كوخاً خشبيًا آخر ، فتوقفا يراقبانه فى اهتمام، من خلف شجرة ضخمة ، وقالت (منى) :

ـ ها هى ذى سيارة (دانى) أمام الكوخ .

ظل (حسام) لحظات يراقب الكوخ بمنظاره ، قبل أن يقول :

ـ وها هوذا (هارولد) فى الداخل .

سألته :

ـ هل نهاجم الآن ؟

هز رأسه نفياً ، وأجاب :

ـ امنحيهم بعض الوقت يا عزيزتى .

ثم تطلع إلى ساعته ، مستطرداً :

ـ ستغرب الشمس بعد ثلاث ساعات .. سنمنحهم كل هذا الوقت ، ومع اختفاء قرص الشمس فى الأفق ..

طرقع سبابته وإبهامه ، معطياً المعنى المنشود ، وغمز بعينه لـ(منى) ، قائلاً فى مرح :

ـ أيناسبك هذا ؟

ابتسمت مغمغمة :

ـ بالتأكيد .

ران عليهما الصمت لحظات ، وسط أعشاب عالية ، وأشجار ضخمة ، ولم يعد كلاهما يسمع سوى حفيف الأوراق ، وزقزقة العصافير ، و(حسام) يواصل مراقبته للكوخ فى اهتمام بالغ ، ودون أن يتبادل مع (منى) كلمة واحدة ، لنصف ساعة كاملة ، قبل أن يرفع منظاره عن عينيه ويسألها بابتسامة كبيرة :

ـ أتشعرين بالجوع ؟

هزت رأسها ، قائلة فى خفوت :

ـ ليس كثيراً .

قال فى لهجة تحمل شيئاً من الحنان :

ـ إنك لم تتناولى شيئاً منذ الصباح .

ثم اعتدل قائلاً فى مرح :

ـ حسناً .. سنتبادل الادوار .. أنت تقومين بالمراقبة ، وأنا أحضر الطعام من السيارة .. ما رأيك ؟

التقطت المنظار المقرب ، وهى تقول مبتسمة :

ـ لا بأس .

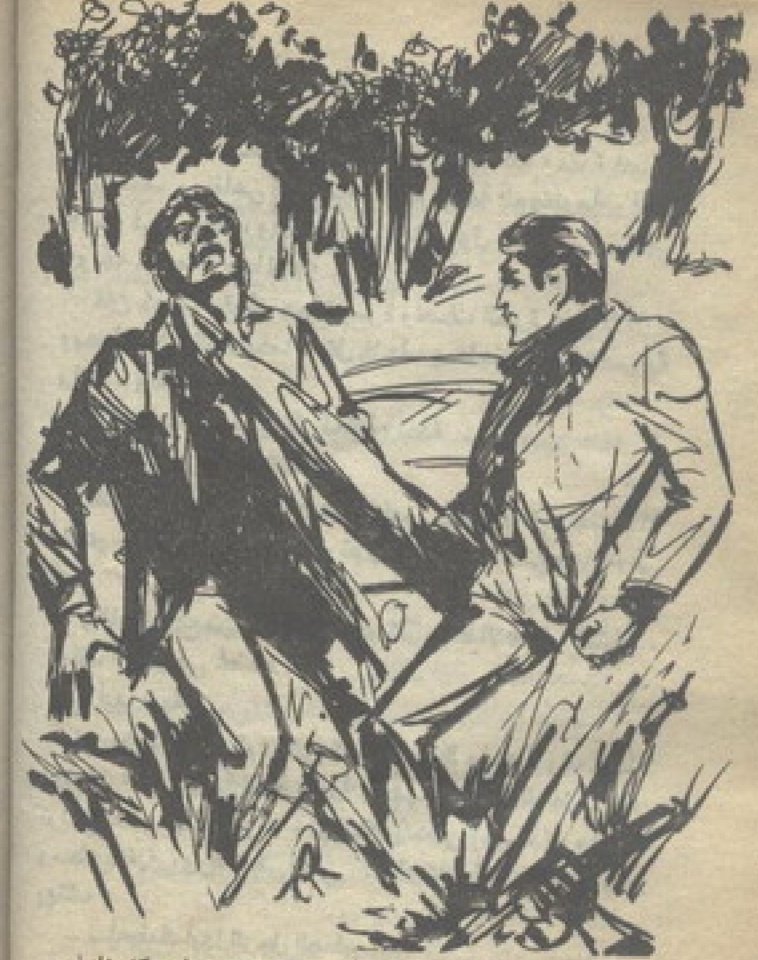
نهض فى نشاط ، ليحضر الطعام من السيارة ، ولكنها استوقفته قائلة فى تردد :

ـ (حسام) .. إننى ..

التفت يسألها مبتسماً :

- إنك ماذا ؟
تطلعت إليه لحظة ، ثم خفضت عينيها ، قائلة :
- إننى أدين لك بالاعتذار .
لم ينبس ببنت شفة ، وإن ظهرت على وجهه ملامح الدهشة لحظة ، قبل أن تتابع هى فى ندم وأسف واضحين :
- لقد أسأت معاملتك فى البداية ، دون قصد منى ، ولكننى لم أكن أحتمل ..
قاطعها فى حنان :
- فيما بعد .
رفعت عينيها إليه ، فاستقبلتها ابتسامته الهادئة ، وهو يتابع :
- سنؤجل الحديث حول هذا لما بعد .
ولوّح بكفه ، مستطرداً :
- سأحضر الطعام .
راقبته وهو يبتعد فى خفة ونشاط ، وغمغمت لنفسها :
- لقد أخطأت فى حقه بالفعل .
ثم أمسكت المنظار ، واستدارت إلى الكوخ ، وانهمكت فى مراقبته ..
أما (حسام) فقد تابع سيره إلى حيث ترك السيارة ، وقال لنفسه فى ارتياح ، وهو يفتح حقيبتها :
- يبدو أن الأمور ستتصلح كثيراً مع عزيزتنا (منى) .
انحنى ليلتقط حقيبة الطعام ، و..
وفجأة أصابته ضربة قوية فى ظهره ، كادت تسقطه داخل

حقيبة السيارة ، لولا أن تشبث بحافتها فى قوة ، ثم دفع قدمه إلى الخلف فى عنف ..
كان رد فعله مناسبًا وسريعًا ، فقد أصابت قدمه معدة خصمه من الخلف ، وتناهى إلى مسامعه صوت آهة ألم مكتومة ، فثنى جسده فى مرونة ، وقفز جانباً ، ودار حول نفسه فى سرعة ، وواجه خصمه وجهاً لوجه .
كان خصمه يفوقه حجمًا بمرة ونصف المرة على الأقل ، ويحمل مدفعاً آلياً ضخماً ، وكل خلجة من خلجاته تحمل الصرامة والحزم والقوة .
ولكن (حسام) لم ينتظر لحظة واحدة ..
ولاحتى جزءًا من الثانية ..
لقد انقضّ على خصمه على الفور ، وقفز يركل معدته ركلة أخرى ، أعنف من سابقتها ، ثم يركل المدفع الآلى من يده فى قوة ..
وطار المدفع من يد الرجل ، واستقر وسط الأعشاب الكثيفة ، فهتف الرجل فى غضب :
- أيها الحقير .
لم يعترض (حسام) على العبارة بلفظ واحد ، وإنما جاء اعتراضه على هيئة لكمة عنيفة وجهها إلى أنف الرجل ، الذى تراجع خطوة إلى الوراء ، ثم انقضّ على (حسام) ، وأمسك وسطه بكفيه ، ورفعه إلى أعلى ، كما لو كان طفلاً صغيراً ، وهو يهتف :
- سأحطمك أيها الرجل الصغير .



وقفز يركل معدته ركلة أخرى ، أعنف من سابقتها ، ثم يركل المدفع الآلى من يده فى قوة ..

وبكل قواه ، هوى (حسام) على جانبى عنق الرجل بحافتى يديه ، ثم رفع ركبته فى نفس اللحظة ، ليضرب بها فكه ..

وصرخ الرجل فى ألم ، ولكنه لم يفلت (حسام) ، وإنما دفعه أمامه ، وهو يندفع إلى حيث جذع شجرة ضخمة ، وضرب ظهر (حسام) بها فى عنف ، صارخًا :

- سأحطمك .. سأحطمك ..

شعر (حسام) بآلام رهيبة فى عاموده الفقرى ، والرجل يضربه بالجذع الضخم مرة .. ومرة .. ومرة .. وأدرك أن جسده لن يحتمل هذه الضربات لفترة طويلة ، فانتزع مسدسه من غمده ، وقال فى ألم :

- أنت أردت هذا أيها الوغد .

شعر الرجل بفوهة المسدس تلتصق بصدغه ، فأبعد رأسه فى سرعة ، وألقى (حسام) أرضاً ، ثم انتـــزع مسدسه بدوره ، هاتفاً :

- نعم .. أنا أردت هذا .

رفع فوهة مسدسه نحو (حسام) بسرعة مدهشة ، ولكن (حسام) كان الأسبق فى ضغط زناد مسدسه ، المزوّد بكاتم للصوت ..

وجحظت عينا الضخم لحظة ، وبدا كأنما أضيفت إليه عين ثالثة ، فى منتصف جبهته تماماً ، ثم لم تلبث تلك العين الثالثة أن تفجرت بالدماء ، وسقط الضخم جثة هامدة ، عند قدمى (حسام) ، الذى قفز واقفاً ، وقال فى توتر :

- إذن فقد كشفتم أمرنا .

وانطلق بكل سرعته نحو المخبأ ، الذى تختفى فيه (منى) ، ولم يكد يبلغه حتى هتف بها :

- هيا .. سنهاجم الآن .

سألته فى دهشة قلقة :

- لماذا ؟ .. ماذا حدث ؟

أجاب فى حزم :

- لقد كشفوا وجودنا .. أحدهم هاجمنى عند السيارة ، ولو لم نهاجم الآن ، فقد نخسر كل شىء .. إننا نعرف موضع (هارولد) الآن ، ولن نضيع هذه الفرصة أبداً .

سألته فى جزع :

- ألن تضع خطة للهجوم ؟

قال فى صرامة :

- إنهم يعلمون بوجودنا ، وينتظروننا ، ولم تعد هناك فائدة من الاختباء والمراوغة .. سأحضر كل الأسلحة من السيارة ، ونهاجمهم على الفور .

قالت فى حسم :

- سنحضرها معاً .

عادا إلى السيارة ، وأحضر كل منهما مدفعاً آلياً ، وقنبلتى دخان ، ومسدساً ، وكمية لابأس بها من الذخيرة ، ثم قال (حسام) فى حزم :

- سنهاجم من محورين .. قنابل الدخان أولاً ، ثم هجوم بالمدافع الآلية .

سألته فى قلق :

- وماذا عن (هارولد) ؟.. ألا يحتمل أن يقتلوه ، إذا مابادرناهم بالهجوم ؟

هتف :

- مطلقاً .. إنهم سيتصوَّرون أننا نحن نسعى إلى قتله ، والتخلص منه ، ومن كل ما يحمله من أسرار ، وسيدافعون عنه بأقصى ما يمكنهم .. اطمئنى .

راقب الكوخ لحظة ، ثم قال :

- الآن .

افترقا فى الجانبين ، واتجه هو إلى يسار الكوخ ، فى حين اتجهت هى إلى يمينه ، ومن بعيد أشار إليها إشارة خاصة .. وبدأ الهجوم ..

بدأ بقنبلة دخان ، ألقاها (حسام) نحو نافذة الكوخ اليسرى ، هاتفاً :

- الآن .

ألقت (منى) قنبلتها بدورها ، نحو النافذة اليمنى ، ثم ضغطت زناد مدفعها الرشاش ، وغمرت الجانب الأيمن للكوخ برصاصاتها ، فى سخاء منقطع النظير ..

وفى أوّل مواجهة حية ، بعد عمله بالمخابرات العامة ، أثبت (حسام) جرأة حقيقية ، منقطعة النظير ..

لقد أطلق رصاصاته على الجانب الأيسر للكوخ بدوره ، ثم اندفع نحوه فى جسارة ، مستغلاً عامل المفاجأة ، وأطلق النار على رتاجه ، ثم دفع بابه بكتفه ، وقفز داخله ، وتدحرج على أرضه فى مرونة ، ثم اعتدل مصوِّباً مدفعه إلى من داخله ..

وهنا كانت المفاجأة .
لم يكن هناك مخلوق واحد داخل الكوخ ..
فقط عدة دمى ، فى حجم البشر ، تشبه إحداها (هارولد) ، وتشبه الأخرى (دانى) ، ثم بعض الدمى الأخرى ..
وهتف (حسام) فى غضب :
- اللعنة ..
كانت سحب الدخان تملأ الكوخ ، فاندفع مرة أخرى خارجه ، وهتف :
- كفى يا (منى) .. كفى .
نطقها بالانجليزية ، فأوقفت (منى) سيل رصاصاتها ، وهى تسأله بإنجليزية مماثلة :
- ماذا حدث ؟
هتف :
- إنه فخ .
وهنا انبعث صوت (فوستر) عالياً ، من عدة مكبرات صوتية تحيط بالمكان ، وهو يقول فى سخرية :
- صدقت أيها الانتحارى .. إنه فخ .
شعرت (منى) بتوتر بالغ ، وتلفتت حولها فى اضطراب ، فى حين هتف (حسام) بالانجليزية :
- اذهب إلى الجحيم .
أتاه صوت (فوستر) ، يقول :
- لست أدرى من منا سيذهب إلى الجحيم أيها الانتحارى .
ثم ارتفع صوته ، وهو يقول فى صرامة :

- امنحوه عينة مما نملك يا رجال .
وهنا انهمر سيل الرصاصات الحقيقى ..
بل شلال منها ..
شلال من رصاصات قاتلة ، انهمر على رأسى بطلينا ..
..(حسام) و (منى) .

* * *



٧ـ من أنت ؟..

على الرغم من شلال الرصاصات الذى انهمر على (حسام) و (منى) إلا أن رصاصة واحدة منه لم تصب أحدهما ، وإنما أحاطت الرصاصات بهما إحاطة السوار بالمعصم ، قبل أن يرتفع صوت (فوستر) ، قائلًا :

ـ إنها مجرد عينة ، كما أخبرتكما .

شعرت (منى) بخوف شديد ، وهى تقول لـ(حسام) فى خفوت :

ـ إنهم يحيطون بنا تمامًا .

تمتم (حسام) فى سخط :

ـ يا للأوغاد !

ثم قال لـ(منى) فى حزم :

ـ تذكرى أنه ، منذ هذه اللحظة ، لم تتحدث أو تنطق حرفًا واحدًا ، إلا بالإنجليزية أو العبرية .. هل تفهمين ؟

ـ أجابته بالإنجليزية :

ـ نعم .

ارتفع صوت (فوستر) مرة أخرى ، يقول فى صرامة :

ـ هيا .. إننى أنتظر استسلامًا غير مشروط .

سألت (منى) (حسام) :

ـ هل نستسلم ؟

قال فى حنق :

ـ ليس أمامنا سوى هذا .

ثم أضاف غاضبًا :

ـ فى الوقت الحالى .

وألقى مدفعه ، قائلًا فى حدة :

ـ إننا نستسلم أيها الوغد .

شعرت بضيق شديد ، وهى تلقى مدفعها ، وترفع يديها مستسلمة ، ثم لم يلبث هذا الضيق أن تحوّل إلى مزيج من الدهشة والخوف ، عندما برز من بين الأشجار ، عشرات من رجال المخابرات الأمريكية ، يحملون مدافعهم الآلية ، ووسطهم (دانى) ، الذى يبتسم ظافرًا ، ويتجه إليهما ، قائلًا :

ـ لقد وقعتما .

أجابه (حسام) بالإنجليزية فى سخرية :

ـ من دواعى فخرنا (على الأقل) أن تجندوا كل هذا الجيش للإيقاع بنا .

قال (دانى) فى غلظة :

ـ لم نكن نعرف عددكم .

قال (حسام) فى سخرية :

ـ حقًا ؟!

أمسكه (دانى) من ياقته فجأة فى غلظة ، وهو يقول فى حدة :

ـ اسمع أيها الرجل .. أنت تواجه أقوى جهاز مخابرات فى العالم أجمع ، ونحن نستطيع سماع دبيب النملة ، ورصد أصغر حشرة تحاول الاقتراب منا .

قال (حسام) بنفس السخرية :

ـ ربما يعاونكم على هذا شعوركم بالانتماء إلى عالم الحشرات .

بدا لـ (منى) شديد الشبه بـ (أدهم صبرى) ، وهو يتعامل مع خصومه بكل السخرية والاستهتار ، وبدا لها (دانى) أشبه بكتلة ملتهبة من الغضب ، وهو يصرخ به :

ـ سأعلمك من منا ينتمى إلى عالم الحشرات أيها الحقير .

وهنا ظهر (فوستر) نفسه ، وهو يقول :

ـ ليس الآن يا (دانى) .. لا تجعل ضيفينا يظنان أننا نفتقر إلى الكرم .

واتجه إلى حيث (منى) و (حسام) فى بطء وهدوء ، ثم رمق كلا منهما بنظراته الحادة المتفحصة ، قبل أن يقول :

ـ أعترف أنكما لعبتما اللعبة فى إتقان شديد ، وبمهارة تستحق الإعجاب ، وكان يمكنكما الانتصار ، لولا أنكما تواجهان (جيمس فوستر) نفسه .

بدا لهما شديد الغرور ، وهو يتابع :

ـ لقد كانت لعبة زرع أجهزة التصنت فى مكتبتى رائعة ، ولكننى أدركت أن زيارتك يا فتاتى ليست طبيعية ، لذا فقد أمرت رجالى كتابة ، بفحص كل شبر بالحجرة ، حتى كشفنا وجود جهازى التصنت ، وبعدها أدركت أن تلك السرقة المزعومة ، لخزانة نادى (الجولف) ، كانت مجرد وسيلة لتغطية محاولة زرع جهاز تصنت آخر ، فى حقيبة أدوات (الجولف) الخاصة بى .

وارتسمت على شفتيه ابتسامة زهو واضحة ، وهو يضيف :

ـ ولكننى تظاهرت بالغباء ، وبأننى أظن أن جهاز التصنت مزروع فى إحدى أدواتى ، وليس فى الحقيبة نفسها ، وتظاهرت بأننى أطلب من (دانى) فحص الأدوات ، فى نفس الوقت الذى تركت له فيه ورقة ، أشرح فيها الأمر كله ، وأطلب منه التظاهر بالغباء ، والذهاب إلى منزل خداعى ، أعددناه كفخ لمن يحاول تعقبنا مثلكما ..

واتسعت ابتسامته ، وهو يستطرد :

ـ ولقد نجحنا فى خداعكما .

قال (حسام) ساخرًا :

ـ هل أصفق ؟

رمقه (فوستر) بنظرة حادة ، وقال :

ـ ما جنسيتك يا فتى ؟

هزّ (حسام) كتفيه ، قائلًا :

ـ سأمنحك فرصة التخمين .

ضاقت حدقتا (فوستر) ، وهو يتفرّس فى ملامحه لحظة ، قبل أن يقول :

ـ أأنت عربى ؟

أجابه (حسام) فى برود :

ـ ربما .

تراجع (فوستر) خطوة ، وأشار إلى أحد رجاله ، قائلًا فى صرامة :

ـ فتشهما .

انعقد حاجبا (حسام) ، وهو يقول :

- لو حاول أحدكم لمس زميلتى ، فسيكون هذا آخر مايفعله فى حياته كلها .

ابتسم (فوستر) ، قائلًا :

- هذا يرجح كونك عربيًا .

خشيت (منى) أن ينكشف أمرهما ، فقالت :

- لابأس يا (دافيد) .. يمكنهم تفتيشى .

صاح بها (حسام) فى غلظة متعمدة :

- لاتنطقى أية أسماء .

التقى حاجبا (فوستر) فى شدة ، وهو يردد :

- (دافيد) ؟!.. أأنتما ...

بتر عبارته مرة واحدة ، والتقت نظراته بنظرات (دانى) فى قلق ، قبل أن يقول :

- لابأس .. لن نهتم بتفتيشكما هذه المرة ، ولكننى أطالبكما بإفراغ محتويات جيوبكما كلها أمامنا .

أطاعاه هذه المرة ، وأفرغا محتويات جيوبهما عن آخرها ، وراح (دانى) يفحص المحتويات فى اهتمام بالغ ، ثم قال :

- لايوجد أى شىء يشير إلى شخصيتهما يا سيدى .. لاأوراق ، أو جوازات سفر ، أو رخص قيادة .. لاشىء قط ..

ألقى (فوستر) نظرة سريعة على كل الأشياء ، ثم قال :

- وماذا عن هذا ؟

والتقط من بين الأشياء ورقة نقدية ، رفعها أمام وجه (حسام) ، قائلًا :

- لقد نسيتما هذه يا عزيزى (دافيد) .

كانت ورقة من فئة العشرة ليرات الإسرائيلية ، تطلع إليها (حسام) فى دهشة مصطنعة ، قبل أن يلتفت إلى (منى) ، هاتفًا فى غضب مفتعل :

- أيتها اللعينة !.. ألم أطلب منك التخلص من كل مايمكن أن يشير إلينا ؟

تظاهرت (منى) بالارتباك ، وهى تقول :

- لم أنتبه إلى هذه الورقة يا (دافيد) .. صدقنى ..

صاح :

- سأقتلك يا (هانا) .. سأقتلك من أجل هذا .

تبادل (دانى) نظرة أكثر قلقًا مع رئيسه ، الذى غمغم فى خفوت :

- يا للشيطان !.. إنهما اسرائيليان !

قال (دانى) فى قلق :

- سيدى .. هذا سيثير أزمة فى الـ ...

قاطعه (فوستر) مشيرًا بيده :

- اصمت .

ثم التفت إلى (حسام) و (منى) ، وقال :

- سنؤجل أمر جنسيتكما هذا إلى ما بعد ، أما الآن فسيقودكما بعض رجالى إلى سيارتكما ، وسنقوم بتفتيشها جيدًا ، ثم سيصحبكما رجالنا بها إلى إدارتنا ، حيث يتم استجوابكما جيدًا .

وأشار إلى أحد رجاله ، قائلًا :

- خذهما إلى هناك .

اصطحب الرجل ، مع ثلاثة آخرين ، (حسام) و (منى) إلى حيث تقف سيارتهما ، فى حين قال (دانى) فى توتر :

- أتصدق أنهما إسرائيليان حقاً يا سيدى ؟
أجابه (فوستر) فى توتر :
- لايمكننى استبعاد هذا ، فعلى الرغم من التعاون القائم ، بيننا وبين (الموساد) ، منذ زمن طويل ، إلا أن هؤلاء الإسرائيليين لايتورعون عن القيام بأية أعمال تحايلية ، مادام هذا فى صالحهم ، بغض النظر عن الأخلاقيات والقواعد والمثل .
قال (دانى) فى ارتياع :
- إلى حد زرع جاسوس بين صفوفنا ؟!
لوح (فوستر) بكفه ، قائلاً :
- إلى أى حد يا (دانى) .. إلى أى حد .
ثم زوى مابين حاجبيه ، مستطرداً فى توتر :
- ولكن من المؤكد أن هذا سيزيد الأمر تعقيداً يا (دانى) .. سيزيده تعقيداً إلى درجة رهيبة بحق ..
فى نفس الوقت ، الذى دارت فيه هذه المحادثة ، بين (فوستر) و (دانى) ، كان الرجال الأربعة يقودون (حسام) و (منى) إلى سيارتهما ، وغمغمت (منى) بالانجليزية :
- لقد فشلت المهمة .
أجابها (حسام) فى حزم :
- ليس بعد .
لم تناقشه فى هذا ، ولكنها شعرت فى أعماقها أنه متفائل أكثر مما ينبغى ، فلاذت بالصمت ، وحاولت أن تتخيل ماسيفعله (أدهم) ، لو أنه فى نفس الموضع ، ثم لم تلبث أن نفضت الصورة من عقلها ، وهتفت فى داخلها :

- استيقظى يا (منى) .. لاداعى للعيش فى عالم الخيال إلى الأبد .. لقد اعتزل (أدهم) العمل ، و (حسام) هو رفيقك الآن .. هيا .. تقبلى الأمر فى شجاعة وواقعية .
كانا قد بلغا السيارة ، فى حراسة الرجال الأربعة ، فتوقف (حسام) عن السير ، وقال فى صرامة :
- لن أخطو خطوة واحدة زائدة .
دفعه أحد الرجال فى غلظة ، قائلاً :
- تقدم يا رجل ، وإلا حطمت رأسك .
شعرت (منى) بالدهشة لموقف (حسام) ، وهو يقول فى عناد :
- افعل مايحلو لك ، ولكننى لن أتحرك من موقعى هذا .
لكزه الرجل بكعب مدفعه فى عنف ، هاتفاً :
- قلت تقدم ..
لم تكن الضربة قوية إلى حد كبير ، ولكن رد فعل (حسام) جعلها تبدو أشبه بقنبلة مدفع ، إذ سقط أرضاً ، وتدحرج لمترين كاملين ، وأحد الرجال الأربعة يقول فى سخرية :
- هيا يا رجل .. لاداعى لكل هذه التمثيلية السخيفة .. إننا نعلم أنك أقوى من أن تجندلك ضربة كهذه .
ولكن فجأة اعتدل (حسام) ، وهو يحمل بين يديه مدفعاً آلياً ، جعل الرجال الأربعة و (منى) يحدقون فيه بدهشة ، وهو يهتف فى سخرية :
- يا للذكاء !
قبل أن يفيق الرجال من دهشتهم ، كانت سبابته تضغط

الزناد ، ورصاصات المدفع الآلى تحصد الرجال الأربعة حصدًا ..

وهتفت (منى) ، وهى تندفع إليه :

ـ من أين حصلت عليه ؟

أجابها وهو يعدو إلى جانبها ، نحو السيارة :

ـ لقد انتزعته ، من يد الرجل ، الذى هاجمنى عند السيارة ، وتذكرت مكانه جيدًا ، حتى أعود إليه عند الحاجة .

هتفت فى إعجاب حقيقى :

ـ أنت رائع يا (حسام) .

قفز داخل السيارة ، وأدار محرِّكها ، هاتفًا :

ـ سيمتعنى سماع هذا الإطراء فيما بعد أيتها الرائد .. أما الآن فاتخذى مقعدك فى سرعة ، واربطى حزام الأمان جيدًا ، فستبدأ المطاردة على الفور ، ولابد لنا من بدء الفرار الآن ، وإلا فلن تعرف الرحمة طريقها إلى ماسيحدث بعد لحظات .

قالها وانطلق بالسيارة كالصاروخ ..

وبدأت المطاردة ..

* * *

لم يكد صوت رصاصات المدفع الآلى ، يبلغ مسامع (فوستر) ورجاله ، حتى تفجر القلق والدهشة فى قلوب الجميع ، وهتف (فوستر) :

ـ أسرعوا يا رجال .. أسرعوا لتغطية زملائكم .

اندفع عشرات الرجال لنجدة زملائهم ، فى حين أضاف (فوستر) :

ـ وأنت يا (دانى) .. خذ معك ثلاثة رجال ، واستقل سيارتك



قبل أن يفيق الرجال من دهشتهم ، كانت سبابته تضغط الزناد ، ورصاصات المدفع الآلى تحصد الرجال الأربعة حصدًا ..

لمطاردة (دافيد) وزميلته ، لو أن هذه الرصاصات تعنى نجاحهما فى الفرار .

هتف به (دانى) ، وهو يسرع نحو سيارته :

- وماذا عنك ياسيدى؟

أجابه (فوستر) :

- سأكون الغطاء الجوى لكم يارجل .

انطلق (دانى) بسيارته ، بصحبة الرجال الثلاثة ، وعبر طريقًا مختصرًا قصيرًا ، قاده مباشرة إلى الطريق الأسفلتى ، حيث بدت سيارة (حسام) و (منى) ، وهى تنطلق مبتعدة ، فصاح (دانى) برجاله :

- استعدوا يارجال .. سننسف هذه السيارة نسفًا .

ضغط دواسة الوقود حتى نهاية مداها ، وانطلق بسيارته المزودة بدائرة سرعة إضافية ، للحاق بسيارة (حسام) ، الذى زاد من سرعته بدوره ، عندما لمح سيارة (دانى) ، وقال لـ (منى) :

- بدأت المطاردة الفعلية أيتها الرائد .. أخبرينى .. هل يمكنك إطلاق النار ، من الزجاج الخلفى .

التقطت المدفع الآلى ، وعبرت من فوق مقعدها إلى الأريكة الخلفية ، قائلة فى حزم :

- بالتأكيد .

حطمت الزجاج الخلفى بعدة ضربات من كعب مدفعها وصوبت فوهة المدفع إلى سيارة (دانى) ، وأطلقت النار ..

رأت الرصاصات ترتطم .. بزجاج السيارة وجسمها ، ثم ترتد

عنهما فى عنف ، دون أن تترك فيهما إلا عدة خدوش بسيطة ، فهتفت بـ (حسام) :

- إنها سيارة مصفحة .

عقد حاجبيه فى توتر ، وهو يقول :

- وسرعتها تفوق سرعتنا .

كان ينطلق بأقصى سرعة تسمح بها سيارته ، ولكن سيارة (دانى) كانت تقترب بسرعة ، مما جعل (حسام) يقول :

- لابد من مناورة مباغتة .

ثم هتف فجأة :

- تشبثى أيتها الرائد .

وجذب ذراع فرامل اليد الإضافية فى قوة ، مما كبح جماح سيارته على نحو مباغت ، ثم أدار عجلة القيادة فى سرعة ، وترك السيارة تدور حول نفسها نصف دورة ، لتواجه سيارة (دانى) ، الذى هتف :

- ما الذى يفعله هذا المجنون؟

وبمبادرة مدهشة ، انطلق (حسام) بسيارته نحو سيارة (دانى) صائحًا :

- الإطارات أيتها الرائد .. صوبى إلى الإطارات .

أطاعته (منى) دون تفكير ، وانتظرت حتى بدت إطارات سيارة (دانى) ، فأطلقت رصاصاتها نحوها بلا تردد ..

وانفجر الإطاران الأماميان لسيارة (دانى) ، الذى فقد سيطرته عليها ، وحاول منعها من الخروج عن الطريق فى استماتة ، وهو يصرخ :

- أيها الأوغاد ! أيها الأوغاد !

ومرة أخرى جذب (حسام) ذراع فرامل اليد الإضافية ، ودار بالسيارة نصف دورة ، وانطلق فى مساره الأول ، هاتفاً فى ظفر :

- لقد هزمناهم أيتها الرائد .. انتصرنا على عمالقة المخابرات الأمريكية .

فوجىء بها تقول فى صوت مرتجف :

- ليس بعد .

لم تكد تنطقها ، حتى التقطت أذناه طنين مروحة الهليوكوبتر ، التى تقترب منه فى سرعة ، فالتقى حاجباه ، وهو يقول فى توتر :

- يبدو أنهم يستخدمون سلاحهم الجوى أيضاً .

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى انهالت رصاصات مدفع الهليوكوبتر على السيارة ، واخترق بعضها سقفها ، والمقعد الذى كانت تحتله (منى) ، وهشم زجاجها الأمامى ، فهتفت (منى) فى ذعر :

- إنهم يجيدون التصويب .

أدار (حسام) عجلة القيادة ، قائلاً فى حزم :

- فلنجعل مهمتهم عسيرة على الأقل .

اتخذ فى انطلاقته مساراً متعرجاً ، وراحت الرصاصات تنهمر عن يمينه ويساره ، وبعضها ينجح فى إصابة جسم السيارة ، وقالت (منى) :

- إنك بهذا تمنعنى من التصويب .

سألها فى دهشة :

- أتحاولين إطلاق النار على الهليوكوبتر ؟

هتفت فى حزم :

- ولم لا ؟

أطلق ضحكة جذلة ، وقال :

- نعم .. ولم لا ؟.

ثم أضاف فى حزم :

- هيا .. استعدى .. سأتخذ فجأة مساراً مستقيماً ، وعندئذ أطلقى النار عليها .

واعتدل فى مساره فجأة ، هاتفاً :

- الآن .

وهنا رفعت (منى) مدفعها ، وأطلقت سيلاً من الرصاصات على الهليوكوبتر ..

ولكن الرصاصات ارتدت عن جسم الهليوكوبتر وزجاجها ، كما فعلت مع سيارة (دانى) ، فتهالكت (منى) ، قائلة فى إحباط :

- إنها أيضاً مصفحة .

سرى التوتر فى جسد (حسام) ، وعاد للانطلاق فى مسار متعرّج ، مغمغماً :

- رباه ! .. إننا نواجه تكنولوجيتهم كلها .

ثم لمح لافتة على جانب الطريق ، فهتف :

- ولكن هناك أملًا .

سألته فى لهفة :

- ما هو ؟

أجاب فى حزم :

- لقد اقتربنا من (نيويورك) ، ولو نجحنا فى دخولها ، فلن تتمكن الهليوكوبتر من الظفر بنا .

قالت متوترة :

- لو لم تظفر بنا قبلها .

لوّح بكفه ، هاتفًا :

- إنه كيلو متر واحد ، سنقطعه فى أقل من نصف الدقيقة ، وبعدها يتلاشى الخطر .

ولكن فى نفس اللحظة ، داخل الهليوكوبتر ، كان الطيّار يقول لـ(فوستر) :

- إنه مراوغ بارع ياسيِّدى .. لابد أن نعترف بهذا ، وسيبلغ (نيويورك) بعد لحظات ، وعندئذ لن يمكننا مواصلة إطلاق النار عليه .

هتف (فوستر) فى غضب :

- لماذا ؟

أجابه الطيّار فى دهشة :

- لأنه سيدخل المدينة ياسيِّدى ، ولو أطلقنا رصاصة واحدة داخلها ، فلن يغفر لنا مخلوق واحد هذا .

قال (فوستر) فى سخط :

- اللعنة على تلك الديموقراطية .

ثم هتف بالطيّار :

- فلنمنعه إذن من بلوغ (نيويورك) ، وبأى ثمن .

أجابه الطيّار فى حماس :

- سمعًا وطاعة ياسيِّدى .

كان (حسام) لحظتها يقول لـ(منى) فى حماس :

- ها هى ذى (نيويورك) أيتها الرائد .. سنبلغها بعد لحظات ، ونتجاوز دائرة الخطر ، و....

وفجأة تجاوزته الهليوكوبتر ، إلى نهاية الطريق ، الذى يقود إلى (نيويورك) ، واستدارت تواجهه ، مما جعله يبتر عبارته ، مغمغمًا فى توتر :

- ماذا يفعلون ؟

وهنا انطلقت الهليوكوبتر فى مواجهته ..

وأطلق مدفعها النيران نحوه ..

وكانت المواجهة ..

أخطر مواجهة .

★ ★ ★



٨ ـ المدينة ..

ماذا تفعل ، عندما تواجهك هليوكوبتر مسلحة مصفحة ، تمطرك بالنيران ؟ ..

من المؤكد أن الجواب ـ المنطقى ـ لمثل هذا السؤال ، هو الاستسلام دون قيد أو شرط ..

لو أن الاستسلام ممكن ..

وفى ذلك الموقف ، الذى يواجهه (حسام) و (منى) ، فكرت (منى) نفسها فى الاستسلام دون قيد أو شرط ، بل وتمنت لحظة لو أن هذا ممكن ..

ولكن (حسام) كان يرفض الفكرة تمامًا ..

لم يكن من السهل عليه أن يتقبل فكرة الاستسلام ، وهو على بُعد نصف الكيلومتر ، من أول طريق النجاة ..

لذا فلم يتوقف (حسام) ..

صحيح أن الهليوكوبتر كانت تنقض عليه ، وتمطره برصاصاتها ، وأن بعض هذه الرصاصات اخترق جسم السيارة ، وكاد يبلغ قدميه ، وأن زجاج السيارة تهشم تمامًا ، وعبرته بعض رصاصات ، مرقت فوق رأس (منى) ، قبل أن تعبر من النافذة الخلفية المحطمة ، ولكن (حسام) لم يتوقف ..

وعلى العكس تمامًا ، ضغط دوّاسة الوقود بقوة أكبر ، وكأنما يحاول إجبار السيارة على الانطلاق بسرعة تفوق سرعتها القصوى ..

وفوجئ (فوستر) وطيّار الهليوكوبتر ، بهذه المبادرة المدهشة ، فهتف الأول فى دهشة عارمة :

ـ ما الذى يفعله هذا المجنون ؟

أجابه الطيّار فى توتر :

ـ من الواضح أنه شديد العناد .. إنه يُفضّل الموت على الاستسلام .

صاح (فوستر) :

ـ انسفه إذن .. أطلق عليه أحد صواريخنا .

هتف الطيّار ، وهو يجذب عصا القيادة إليه فى قوة :

ـ لم تعد المسافة تسمح بهذا .

ـ رأى (حسام) الهليوكوبتر ترتفع ، فعاد إليه الأمل ، وأخذ يقول :

ـ سننجح أيتها الملازم .. سننجح بإذن الله .

ولكن (فوستر) صاح بالطيّار فى غضب :

ـ أطلق نيرانك على خزان الوقود .. هيا .. بسرعة .

استدار الطيّار بالهليوكوبتر مرة أخرى ، وراح يمطر خزان الوقود برصاصاته ، فى اللحظة التى هتف فيها (حسام) :

ـ لقد وصلنا .

وهنا اشتعل خزان الوقود ، وارتفعت منه ألسنة اللهب ، فصاحت (منى) :

ـ السيارة ستنفجر .

ضغط (حسام) فرامل السيارة فى عنف ، فانطلق صرير الإطارات فى قوة ، ودارت السيارة حول نفسها أكثر من مرة ،

قبل أن تتوقف على جانب الطريق ، بالقرب من مدخل المدينة ، وهتف (حسام) :

- بسرعة أيتها الرائد .. بسرعة .

قفز مع (منى) خارج السيارة ، ورآهما (فوستر) يعدوان نحو المدينة ، فصرخ بالطيّار :

- اقتلهما .. اقتلهما قبل أن نفقد أثرهما .

ولكن الطيّار صاح :

- لم يعد بإمكاننا هذا .. لقد دخلا المدينة .

ومع آخر حروف كلماته ، انفجرت السيارة بدوى هائل ، لتضع نهاية لهذه المرحلة من الصراع ، وبداية لمرحلة أخرى .. مرحلة المطاردة ..

* * *

تطلع قائد بوليس (نيويورك) لحظات ، إلى ذلك الخطاب الرسمى ، الذى يمسكه بين يديه ، ثم رفع عينيه إلى الرجل المتين البنيان ، الذى يقف أمامه صامتًا ، مرتديًا منظارًا شمسيًا داكنًا ، على الرغم من وجوده داخل الحجرة ، وسأله :

- أأنت واثق من أن هذا يخص الـ(سى . آى . إيه) مباشرة؟

أومأ الرجل برأسه إيجابًا ، وقال فى برود :

- ستجد لديك كل الأوراق والتوقيعات الرسمية .

قال قائد البوليس فى خشونة :

- لقد رأيت هذا .

ثم وضع الخطاب على سطح مكتبه ، والتقط رسمين ، يقترب شكلهما من هيئتى (حسام) و (منى) ، وقال :

- إذن فالمطلوب منا هو تجنيد معظم رجالنا ، للبحث عن رجل وفتاة ، لهما هذا الشكل ، ثم نقوم بتسليمهما إلى الـ (سى . آى . إيه) .

غمغم الرجل بنفس البرود :

- هذا صحيح .

رمقه قائد البوليس بنظرة تشف عن عدم الارتياح ، ثم أزاح الصورتين جانبًا ، وقال :

- ولماذا خالفت الـ(سى . آى . إيه) القانون ، وعملت داخل البلاد .. أليس من المفروض أن الأعمال الداخلية تخصنا ، أو تخص الـ (إف . بى . آى)؟

أجابه الرجل :

- إنها عملية خارجية ، ولكن تطور الأمور قادها إلى الداخل .

ردد قائد البوليس :

- هكذا؟!

ثم هز رأسه لحظات فى صمت ، قبل أن يضيف :

- لقد وجدتم حلًا قانونيًا .. أليس كذلك ؟

بدا شبح ابتسامة على ركن شفتى الرجل ، وهو يقول فى اقتضاب :

- بالتأكيد .

زفر قائد البوليس فى ضيق ، ثم ضغط أحد الأزرار على مكتبه ، فوافته سكرتيرته على الفور ، وهى ترتدى زيها الرسمى ، وناولها صورتى (حسام) و (منى) ، وهو يقول :

- خذى يا (ليا) .. اصنعى مئات النسخ من هاتين الصورتين ،

وأرسلى نسخة من كل منهما إلى كل رجل من رجالنا ، فى أركان (نيويورك) كلها ، وأبلغى الجميع أن هذا الأمر يحوز أولوية مطلقة .

أخذت الصورتين ، قائلة :

ـ سأنفذ هذا على الفور يا سيدى .

ولم تنس أن تلقى نظرة على الرجل ذى المنظار الداكن ، قبل أن تغادر المكتب ..

وفهمت على الفور أن الأمر هذه المرة بالغ الأهمية .. والخطورة .

* * *

جلس (حسام) أمام المرآة المتهالكة ، فى حجرة رديئة ، من حجرات فنادق الدرجة الخامسة ، فى أحد أحياء (نيويورك) ، وثبت تحت أنفه شارباً مستعاراً أشقر اللون ، بعد أن انتهى من ارتداء شعر أشقر مستعار ، وعدستين زرقاوين لعينيه ، ثم التفت إلى (منى) يسألها :

ـ ما رأيك ؟

شعرت بشىء من خيبة الأمل ، وهى تتطلع إلى تنكره ، الذى بدا لها ، على الرغم من إتقانه ، أشبه بلعبة من لعب الأطفال ، مقارنة بما كان يقوم به (أدهم صبرى) قديمًا ، ولكنها تمتمت :

ـ لا بأس .

كانت ترتدى بدورها شعراً مستعاراً ، له لون كستنائى لامع ، ومنظاراً ضخماً ، أبدل هيئتها تماماً ، ولكنها كانت تعتقد أنه من

السهل على أى شخص تعرفها هى و (حسام) ، لو أنه يبحث عنهما بالذات ، مما يملأ نفسها بالقلق والخوف ، والكثير من التوتر ، على عكس (حسام) ، الذى بدا هادئاً واثقاً ، وهو يقول :

ـ كل ما علينا الآن هو أن نغادر هذا الفندق الحقير ، وبعدها يمكننا قطع (نيويورك) كلها ، حتى نبلغ ذلك المنزل الآمن ، فى مواجهة منزل عزيزنا (فوستر) .

سألته فى قلق :

ـ هل تنوى حقاً العودة إلى هناك ؟

أجاب فى حسم :

ـ إنه أفضل مكان نذهب إليه ، فلن يتصور أحدهم أبداً أن نفر منهم ، ثم نعود إليهم هكذا .

أومأت برأسها متفهمة ، وقالت :

ـ ربما كنت على حق .

ابتسم قائلاً :

ـ اطمئنى .. إننى على حق .

فى نفس اللحظة ، التى نطق فيها عبارته ، كان اثنان من رجال الشرطة يدخلان إلى الفندق الحقير ، وأحدهما يقول للآخر :

ـ معذرة يا (ماك) .. إننى أحترم أسلوبك فى التفكير ، ولكننى أعتقد أنه ما من جاسوس عاقل ، يقبل بالمبيت فى فندق (ماريو) الحقير هذا .

أجابه (ماك) فى حزم :

ـ ولو .. لابد لنا من دراسة كل الاحتمالات يا (آرثر) .

ثم تلفت حوله ، هاتفاً :

- (ماريو) .. أين أنت يا رجل؟
دق براحته جرساً بدائياً صدئاً، فوق منضدة استقبال متآكلة، فظهر من باب جانبى رجل نحيل، طويل الأنف، يمسك بشفتيه بقايا سيجارة، كاد رمادها يحرق شفتيه، وشعيرات ذقنه النامية، وهو يقول بعينين نصف مغلقتين:
- مساء الخير يا (ماك)، وأنت يا (آرثر)، ما الذى أتى بكما هذه المرة؟.. لقد قطعت كل صلاتى بالنساء والمخدرات، و...
قاطعه (آرثر) فى صرامة:
- لسنا هنا للتفتيش على الأشياء الروتينية يا (ماريو).
غمغم الرجل فى ارتياح وهو يلوك الكلمات بشفتيه، كما لو كان يمضغ عقب السيجارة المشتعل بينهما:
- حقاً؟!
أخرج (ماك) من جيبه صورتى (منى) و (حسام)، ووضعهما أمام (ماريو)، قائلاً فى لهجة خشنة:
- هل سبق لك رؤية هذين؟
ألقى (ماريو) نظرة خاوية على الرسمين، وقال:
- أهذا هو الرسم، الذى يتم صنعه، باستخدام أوصاف المتهمين، و..
قاطعه (ماك):
- هل سبق لك رؤيتهما؟
ألقى (ماريو) نظرة أخرى على الرسمين، ثم سأل (ماك) فى اهتمام:
- أتوجد مكافأة للإرشاد عنهما؟
أجابه (ماك) فى ضيق:

- لا .. لا توجد أية مكافآت.
وأضاف (آرثر) فى سرعة:
- ولكن هناك استعداد للتغاضى عن بعض التجاوزات.
كرز (ماريو) بلهجته نصف النائمة:
- حقاً؟!
ثم أشار بيده، مستطرداً:
- إنهما بأعلى .. ثالث حجرة إلى اليسار.
تبادل (ماك) و (آرثر) نظرة ملؤها الدهشة، قبل أن يسأله (آرثر) فى انفعال:
- أأنت واثق يا (ماريو)؟.. انظر للرسمين مرة أخرى.
بصق (ماريو) الجزء الأخير من عقب السيجارة، وسحقه بقدمه فى قوة، وهو يقول فى تراخ:
- أنا لا أنسى أبداً وجهاً رأيته من قبل.
تبادل (ماك) و (آرثر) النظرات مرة أخرى، وقال الثانى للأول:
- اخرج أنت للطريق الجانبى، وراقب السلم الخلفى جيداً، أما أنا، فسأصعد مع (ماريو) إليهما.
قال (ماريو) معترضاً:
- ماذا تقول يا رجل؟. لقد أرشدتك إليهما فحسب.
اندفع (ماك) مغادراً المكان، لمراقبة الشارع الجانبى، وسلالم الطوارئ الخلفية، فى حين جذب (آرثر) (ماريو) من ياقته، وهو يقول فى صرامة:
- ستصعد معى يا رجل، شئت أم أبيت.



اندفع (آرثر) نحو النافذة المفتوحة ، ولكنه لم يكد يطلّ برأسه منها ،
حتى تلقّى ركلة عنيفة في أنفه ، أسقطته على ظهره ..

همهم (ماريو) بعبارة ساخطة ، وصعد معه إلى الطابق الثاني ، عبر درجات خشبية متآكلة ، حتى بلغا حجرة (حسام) و (منى) ، فدق (ماريو) بابها ، وقال :

ـ معذرة أيها السيّد المحترم .. هل تطلب شيئاً من الشراب ؟

أتاه صوت (حسام) يقول :

ـ لا .. ليس الآن .

وهنا أزاح (آرثر) (ماريو) جانباً ، وهو يقول :

ـ يكفيك هذا يا رجل .

ثم ركل الباب بقدمه في قوة ، فانتزعه من مفاصله الصدئة ، وألقاه وسط الحجرة ، وهو ينتزع مسدسه ، ويقفز وسطها ، صائحاً :

ـ استسلما .. المكان محاصر .

توقّف لحظة في توتر ، عندما لاحظ أن الحجرة خالية ، ولكنه سمع في اللحظة نفسها دوى رصاصتين ، مقترنـاً بصوت (ماك) ، وهو يصرخ في الخارج :

ـ (آرثر) .. إنهما يحاولان الفرار .

اندفع (آرثر) نحو النافذة المفتوحة ، ولكنه لم يكد يطلّ برأسه منها ، حتى تلقّى ركلة عنيفة في أنفه ، أسقطته على ظهره ، ثم قفز (حسام) داخل الحجرة ، هاتفاً :

ـ معذرة يا رجل .. سأستعير مسدسك .

دوى في الوقت نفسه صوت رصاصة ثالثة ، اصطدمت بحافة النافذة ، قبل أن تقفز (منى) عبرها إلى الداخل ، وتراجع (ماريو) ملوّحاً بكفيه ، وهاتفاً :

- إنني لم أخبرهما شيئاً .. أقسم لكما .

أما (آرثر) ، فحاول أن يعتدل ، قائلاً :

- لن تحصل على مسدسى إلا فوق ..

قاطعه (حسام) بركلة أخرى قوية فى ذقنه ، أفقدته الوعى ، فسقط رأسه مرتطماً بالأرض ، وانحنى (حسام) فى سرعة يلتقط المسدس ، وهو يقول لـ (ماريو) فى صرامة :

- ابتعد يا رجل .

قفز (ماريو) جانباً ، ومرق (حسام) و (منى) من جانبيه ، إلى خارج الحجرة ، ودوت خلفهما رصاصة رابعة من (ماك) ، الذى رفع جهازه اللاسلكى ، وهتف عبره فى توتر شديد :

- هنا (ماك) ، من الفريق السابع .. لقد عثرنا على الهاربين ، وأحتاج إلى نجدة قريبة وسريعة ، وإلى محاصرة المنطقة كلها .

لم يسمع (حسام) و (منى) هذا ، ولكنهما انطلقا بأقصى سرعتهما ، لمغادرة الفندق الحقير ، واندفع (ماك) محاولاً اعتراضهما ، وهو يهتف :

- توقفا أو أطلق النار .

ولكن (حسام) استدار إليه فى سرعة مدهشة ، وأطلق عليه رصاصة ، ألقته أرضاً ، ثم واصل اندفاعه نحو سيارة الشرطة ، و (منى) تهتف به :

- فى هذا تختلف كثيراً عن (أدهم) .. إنه لم يكن مسرفاً فى سفك دماء الآخرين مثلك .

قفز داخل سيارة الشرطة ، قائلاً فى صرامة :

- اركبى بسرعة أيتها الرائد .

قفزت إلى جواره ، فأدار محرك السيارة ، وانطلق بها خارج الشارع ، ثم انحرف يميناً فى عنف ، وتجاوز سيارة شرطة أخرى ، حاولت اعتراض طريقه ، وأطلق لسيارته العنان ، وخلفه تدوى أبواق سيارات الشرطة الأخرى ، قبل أن يقول فى ضيق :

- لقد أصبت ذلك الشرطى فى كتفه فحسب .

هتفت :

- حقاً ؟! .. لقد تصورت أن ..

قاطعها فى حدة واضحة :

- سنؤجل الحديث عن هذا لما بعد أيتها الرائد .. ألا ترين أن نصف شرطة (نيويورك) تطاردنا .

التفتت خلفها ، لترى خمس سيارات شرطة تطارد سيارتهما فى إصرار ، و (حسام) يراوغها كلها فى مهارة مدهشة ، فينحرف فى طريق جانبى ، أو يتجاوز إشارة مرور ، أو يسير عكس خطوط السير المعتادة ..

ولم يكن ذلك سهلاً .

لم يكن كذلك أبداً ، فى مدينة شديدة الازدحام ، مثل (نيويورك) ..

وفجأة ظهرت أمامهما بعض المتاريس ، التى أقامها رجال الشرطة ، فصاحت (منى) :

- احترس يا (حسام) .

لم يجب ، وإنما زاد من سرعته ، ورأى بنادق رجال الشرطة مصوبة إليه ، فهتف فى حزم :

- انحنى وتشبثى جيداً أيتها الرائد .

أطلق رجال الشرطة نيران بنادقهم عليه ، واخترقت رصاصاتهم زجاج النافذة ، وخدشت إحداها كتفه ، فى حين مرقت الثانية على قيد سنتيمتر واحد من عنقه ولكنه واصل انطلاقته ، ورفع إطارات السيارة نحو حافة الإفريز ، و...

وقفزت السيارة فى الهواء .

قفزت كطائرة صغيرة ، تشق الهواء ، ثم تهبط على إطاراتها فى عنف ..

وقفزت السيارة مرة أخرى عندما ارتطمت إطاراتها بالأرض ، ثم واصلت انطلاقها بنفس السرعة ، ورصاصات الشرطة تنهمر على زجاجها الخلفى ، وتحيله إلى فتات ..

ونهضت (منى) من انحنائها ، وبقايا الزجاج المحطم يغمرها ، وهتفت :

- لايسعنى إلا الاعتراف لك بالبراعة ، ولكن هل سنواصل هذا طيلة الليل؟

أجابها فى حزم :

- كلا بالطبع ، ولكننا فقدنا مطاردينا الآن على الأقل ، وهذا يمنحنا بعض الوقت . لتبديل خطتنا .

لم يكد يتم حديثه ، حتى ضغط فرامل السيارة فى عنف ، وأوقفها إلى جانب الطريق ، هاتفاً فى (منى) :

- هيا .

غادرت معه السيارة ، وانطلقا يعدوان جنباً إلى جنب ، عبر طرق جانبية ضيقة ، حتى بلغا بناية ضخمة ، فقال (حسام) :

- أراهن أن إحدى نوافذ هذه البناية تطل على أسطح المبانى المجاورة .

خففا من سرعتهما ، واتجها إلى البناية ، ولكن حارسها استوقفهما ، قائلاً :

- مهلاً .. ألديكما أية مواعيد سابقة ، لمقابلة أحد السكان هنا ؟

كادت (منى) تنفى هذا ، ولكن (حسام) قال بسرعة :

- وماشأننا بالمواعيد؟. إننا هنا لاستئجار شقة بالبناية .

مطّ الحارس شفتيه ، وقال :

- لاتوجد شقق خالية بالبناية كلها .

أجابه (حسام) بمنتهى الهدوء :

- ولكن هناك شقة ستخلو قريباً ، فمستر (مارك) وعائلته سينتقلون إلى العاصمة (واشنطن) ، و..

قاطعه الحارس فى صرامة :

- لايوجد هنا من يحمل اسم (مارك) .

ضحك (حسام) ، قائلاً :

- لاريب أنك مخطئ يا رجل .. لايمكنك حفظ أسماء جميع السكان هنا بالطبع .

قال الحارس فى صرامة أكثر :

- قلت لايوجد ساكن واحد ، يحمل اسم (مارك) .

لوّح (حسام) بكفه ، قائلاً :

- أنت مخطئ حتماً .. إننى أحمل بطاقته .

دس يده فى جيبه ، ثم أخرجها فجأة ، وهى تحمل مسدسه ، ودفع الحارس إلى الحائط فى عنف ، وهو يلصق فوهة مسدسه بعنقه ، قائلاً فى قسوة :

- هل تعرّفت البطاقة ؟
صاح الحارس فى ذعر :
- لست أملك مالًا .
دفعه (حسام) أمامه ، قائلًا فى غلظة :
- افتح البوابة .
هتف الحارس :
- سأفقد عملى لو فعلت .
أجابه (حسام) فى حدة :
- سأفعل أنا إذن .
ثم أدار فوهة مسدسه إلى البوابة الزجاجية الضخمة ، وأطلق النار ..

وانهارت البوابة الزجاجية محطمة ، إثر الرصاصات التى أصابتها ، ولكنها لم تكد تسقط ، حتى انطلقت صفارات إنذار قوية فى المكان ، وهتفت (منى) :
- يا إلهى ! .. الأمر يزداد سوءًا .
هتف (حسام) بدوره :
- ليس بعد .
وهوى على فك الحارس بلكمة كالقنبلة ، أسقطته فاقد الوعى ، ثم أمسك يد (منى) ، وصاح :
- هيا بنا .. سننجح فقط لو أننا الأسرع .
انطلقا يعدوان إلى داخل البناية ، واستقلا أحد مصاعدها الأربعة إلى الطابق العاشر ، وهناك أسرعا نحو نافذة تطلّ على بناية جانبية ، وقال (حسام) :

- المسافة من هنا إلى سطح تلك البناية المجاورة ، لاتزيد على ثلاثة أمتار .. أيمكنك القفز عبرها ؟
هزّت رأسها نفيًا ، وقالت :
- لا .. لايمكننى هذا .
قال فى حزم :
- بل يمكنك هذا .
أخرج مسدسه ، وأطلق رصاصاته على الزجاج ، فحوّله إلى فتات تناثر فى الهواء ، وتراجع قائلًا :
- هيا أيتها الرائد .. سنعبر هذه الأمتار الثلاثة .
صاحت به :
- لن يمكننى هذا أبدًا .
هتف فى صرامة :
- حاولى .. ليست أمامنا وسيلة أخرى .
تراجع أكثر ، ثم اندفع نحو النافذة المحطمة ، هاتفًا :
- سأبدأ بنفسى .
رأته يعدو نحو النافذة ، ثم يقفز معتمدًا بقدمه اليمنى على حافتها السفلى ، ويدفع جسده كله فى الهواء ، فلم تتمالك نفسها من إطلاق شهقة قوية ، وجسده يسبح على ارتفاع ثلاثين مترًا ، لثانيتين أو أكثر ، قبل أن تستقر قدماه على سطح المبنى المجاور ..
وفى حماس ، التفت إليها ، وهتف :
- هيا أيتها الرائد .. لقد نجحت أنا ، ويمكنك أن تنجحى مثلى .
تراجعت فى قلق ، وخيّل إليها أنها لن تنجح أبدًا ، ولكن صوت

أبواق سيارات الشرطة بلغ مسامعها ، وأدركت أن صفارة الإنذار قد أرشدتهم إلى موقعهما ، وأنه لم يعد هناك من أمل ، سوى النجاح فى القفز إلى سطح البناية المجاورة ، فالتقطت نفساً عميقاً ، وقرأت فى أعماقها آية قرآنية قصيرة ، ثم اندفعت بكل قواها ، حتى بلغت النافذة ، فقفزت إلى إطارها السفلى ، ثم دفعت جسدها إلى الأمام ..

واتسعت عيناها فى رعب ، عندما أدركت من خط سير جسدها ، أنها لن تبلغ السطح أبداً .

وكانت على حق ..

لقد أخطأت السطح بنصف المتر فحسب ، ووجدت نفسها تهوى ..

تهوى من ارتفاع ثلاثين متراً ..

وبلا أمل .

* * *



٩ - الحصار ..

اندفع (داني) إلى حجرة مكتب (فوستر) ، وهو يهتف فى حماس :

- لقد عثرت عليهما الشرطة .

رفع (فوستر) عينيه إليه ، وسأله فى لهفة :

- هل ألقوا القبض عليهما ؟

هز (داني) رأسه نفياً ، وقال :

- ليس بعد ، ولكنهم يطاردونهما عبر شوارع المدينة .

مط (فوستر) شفتيه نفياً ، وقال :

- لن يظفروا بهما .

سأله (داني) فى دهشة :

- ولماذا تجزم بهذا يا سيدى ؟

لوح (فوستر) بكفه ، وقال :

- لأنه أمر طبيعى .. من يفوق الآخر فى رأيك ، الشرطة أم المخابرات ؟

ابتسم (داني) فى شىء من الفخر ، قائلاً :

- وهل يحتاج الأمر إلى التساؤل ؟

ابتسم (فوستر) بدوره ، قائلاً :

- هذا هو الجواب إذن .

عاد (داني) يعقد حاجبيه ، وهو يقول :

- ما الحل إذن ؟.. إننا لانستطيع الاشتراك فى المطاردة ، ومن الضرورى فى الوقت نفسه ، أن نظفر بهما .

بدت علامات التفكير العميق على وجه (فوستر) ، وهو يعتمد بجبهته على أصابعه المطرودة ، مرتدًا :

- لابد من وجود وسيلة ما .. لابد .

ران صمت تام على الحجرة ، لم يجرؤ (دانى) على قطعه ، أو مقاطعة تفكير رئيسه ، الذى جمد فى مكانه طويلا ، حتى بدا أشبه بتمثال من الرخام ، قبل أن يعتدل بغتة ، وعيناه تبرقان فى شدة ، وهو يهتف فى حرارة :

- نعم .. هذه هى الفكرة .

سأله (دانى) فى لهفة :

- هل توصلت إلى شىء ما يا زعيمى ؟

ازداد بريق عينى (فوستر) ، وهو يقول :

- بالطبع يا عزيزى (دانى) .. بالطبع .

ثم نهض من خلف مكتبه ، مستطردًا :

- دع رجال الشرطـة يواصلـون مطاردتهـم لخصمينـا يا (دانى) ، ولنعمل نحن بأسلوبنا ، وسنرى من يربح اللعبة فى النهاية .. من يربحها فى رأيك ؟

ابتسم (دانى) قائلًا :

- هل تسألنى ؟

كان الجواب يحمل الكثير من الثقة ، وعلى الرغم من هذا ، فقد بقى السؤال فوق رءوس الجميع ..

من يربح اللعبة فى النهاية ؟..

من ؟..

★ ★ ★

لم تنجح (منى) فى قفزتها ..

لم تمكنها عضلاتها الأنثوية الضعيفة من عبور هذه الأمتار الثلاثة بقفزة واحدة ..

ورأت نفسها تسقط ..

تسقط من ارتفاع عشرة أدوار ..

واتسعت عيناها فى رعب ، وأطلقت صرخة فزع ، وهى تمد يدها للتشبث بأى شىء ، أو أى شخص ، أو ..

وفجأة أمسكت يد قوية معصمها ..

يد ذات أصابع حديدية ، أحاطت بمعصمها فى قوة لتمنعها من السقوط ..

كانت أصابع (حسام) ، الذى تشبث بحافـة السور بيـده اليسرى ، وهو يقبض على معصمها بيده اليمنى ..

وشعرت (منى) بآلام شديدة فى يدها ، وهو يجذبها إليه فى قوة ، هاتفًا :

- أخطأت بنصف المتر فحسب .

نجح فى رفعها ، بجذبة واحدة ، إلى حافة السطح ، فتشبثت بها ، وجذبها هو مرة أخرى بكل قواه ، لتجد نفسها راقدة على السطح ، وهى تلهث فى قوة وانفعال ، وهو يقول فى خفوت :

- اهدئى .. لقد انتهى كل شىء .. لقد نجوت .

قالت بصوتها اللاهث :

- لقد .. لقد أنقذت حياتى .

ابتسم ابتسامة خفيفة ، وهو يقول :

- يسعدنى أن فعلت .



يد ذات أصابع حديدية ، أحاطت بمعصمها فى قوة تمنعها من السقوط ..

ثم غمز بعينه ، مستطرداً :

ـ ولكننا سنضطر للانصراف ، قبل وصول رجال الشرطة للأسف .

أومأت برأسها إيجاباً ، وهى تنهض فى تهالك ، قائلة :

ـ أعلم هذا .. أعلم هذا .

عاونها على النهوض فى رفق ، وقادها نحو باب السطح ، قائلاً :

ـ سيكشفون أمر قفزنا إلى هنا ، بعد خمس دقائق على الأكثر ، والمفروض أن ننجح فى الابتعاد عن هنا بأقصى سرعة ، قبل هذه الدقائق الخمس .

قالت فى خفوت :

ـ سأبذل قصارى جهدى .

لم تدر لماذا بدا لها ـ فى هذه اللحظة بالذات ـ شديد الشبه بـ (أدهم صبرى) ؟!

ربما لأنه أنقذ حياتها ..

أو لأنه كان حنوناً رقيقاً ..

أو لسبب لم تدركه بعد ..

المهم أنها شعرت ، وهى تهبط معه إلى الطابق السفلى ، فى الشارع الخلفى ، وكأنها تسير إلى جوار (أدهم) نفسه ..

وعندما بلغا ذلك الطريق ، خلف البناية الضخمة ، أشار إلى سيارة متوقفة ، إلى جوار المبنى المجاور ، قائلاً :

ـ هاهى ذى وسيلة المواصلات ، التى ستنقلنا بعيداً عن هنا .

سألته :

- وكيف سنحصل عليها ؟
هزّ كتفيه ، قائلاً :
- الضرورات تبيح المحظورات يا عزيزتى .. إننا سنسرقها بالطبع .
مطت شفتيها ، قائلة :
- هذا يُشعرنى بالإثم ، ولكنك على حق .. الضرورات تبيح المحظورات .
أخرج من حزامه أداة رفيعة ، دسّها فى ثقب مفتاح باب السيارة ، وأخذ يعالجه فى هدوء ، حتى سمعت (منى) تكة خافتة ، قال (حسام) بعدها :
- هاهى ذى .
ثم فتح الباب فى حرص ، وقفزت يده فى سرعة ، تضغط زر الإضاءة داخل السيارة ، قبل أن ينطلق جهاز الإنذار ، الذى يضيفه الأمريكيون عادة إلى سياراتهم ، وقال لـ(منى) :
- هيا .. أسرعى إلى الجانب الآخر .
جلس خلف عجلة القيادة ، ورفع سبابته عن زر الإضاءة ، وهو يغلق الباب فى سرعة ، ثم ضغط زر الباب الآخر ، وفتحه لـ(منى) ، التى جلست على المقعد المجاور له فى سرعة ، وأغلقت بابها بدورها ، وقالت فى ارتياح :
- لم ينطلق جهاز الإنذار .
تمتم وهو ينتزع بعض الأسلاك ، من لوحة العدادات :
- لحسن الحظ .
أوصل الأسلاك ببعضها البعض ، فاشتعل المحرّك ، واعتدل هو يمسك عجلة القيادة ، قائلاً فى حزم :

- إلى منزلنا الآمن ، دون توقف .
انطلق بالسيارة فى هدوء ، وعبر الشارع الخلفى إلى الطريق الرئيسى ، وواصل طريقه دون مشاكل ، حتى أن (منى) شعرت بارتياح شديد ، واسترخت فى مقعدها ، وتركت جفنها العلوى ينزلق فى إرهاق ، ليلتقى بجفنها السفلى ، ويتراخيان معاً وهى تسبلهما فى رفق ، وألقى (حسام) نظرة مشفقة عليها ، ثم واصل طريقه وسط السيارات الأخرى فى هدوء ، خشية إيقاظها ..
ثم ظهرت سيارة شرطة فى مفترق الطرق ، وهى توقف السيارة القادمة كلها ، لتفحص أوراقها وأوراق راكبيها ، فالتقى حاجباه فى توتر ، وهو يتمتم :
- ألن تنتهى هذه الليلة أبداً ؟
انضمّ إلى طابور السيارات فى بساطة ، وترك رجال الشرطة يفحصون كل السيارات التى أمامه ، حتى حان دوره ، فاقترب منه رجل الشرطة ، يقول :
- أوراقك يا سيّدى .
ابتسم قائلاً :
- أتريد أوراقى حقاً أيها الشرطى؟
قال الشرطى فى صرامة :
- لا وقت لهذا المزاح يا سيّدى .. أبرز أوراقك على وجه السرعة .
هزّ (حسام) كتفيه ، وقال :
- حسناً .. مادمت تكره المزاح ، فليس أمامى سوى ..
ضغط دوّاسة الوقود فى سرعة ، مستطرداً :

- الفرار .

انطلقت السيارة على نحو مباغت ، وارتطمت بجانب سيارة الشرطة ، ثم اندفعت مبتعدة فى سرعة ، وصاح رجل الشرطة ، وهو يصوّب مسدسه إليها :

- إنه هو .. إنهما الهاربان .

انتفضت (منى) على صوت الرصاصات ، والتى أصابت إحداها زجاج السيارة الخلفى وحطمته تحطيماً ، فهتفت فى ذعر :

- ما هذا؟

أجابها (حسام) فى هدوء ، وهو يراوغ بسيارته فى مهارة ، مبتعداً عن دائرة الحصار :

- واصلى نومك أيتها الرائد .. إنه مجرد كمين آخر ، تجاوزناه فى نجاح .

التفتت تتطلع إلى الزجاج المكسور ، قائلة :

- ألن ينتهى هذا؟

ابتسم قائلاً :

- أظننا تجاوزنا دائرة الحصار .. هذا لو أن رجال شرطة (نيويورك) ، لم يطوّروا كثيراً أساليبهم ، التى دربتنا عليها الإدارة .

قالت وهى تعتدل :

- ولكنهم سيبلغون أوصاف هذه السيارة للجميع .

أجابها فى هدوء :

- إنه أمر أبسط مما تتصورين .

وضغط فرامل السيارة ، مستطرداً :

- سنتركها لهم .

أوقف السيارة ، وغادرها بنفس وسيلة دخولها ، دون أن ينطلق جرس الإنذار داخلها ، وابتسمت (منى) ، وهى تقول :

- هل سنسرق سيارة أخرى؟

قال فى بساطة :

- لماذا؟.. إننا سنفعل مثل أى نيويوركى محترم .

ورفع سبابته ، مستطرداً بابتسامة مرحة :

- سنستقل سيارة من سيارات الأجرة .

سارا فى هدوء إلى شارع آخر ، وهناك استقلا سيارة من سيارات الأجرة الصفراء ، إلى منطقة قريبة من منزلهما الآمن ، ومن هناك واصلا طريقهما سيراً على الأقدام ، عبر عدد من الطرق المتشابكة ، حتى بلغا شقتهما ، ولم تكد (منى) تلمح البناية ، التى تضم الشقة ، حتى قالت فى ارتياح بالغ :

- أخيراً .

ابتسم (حسام) ، قائلاً :

- يسعدنى أن يروق لك المكان ، فسنضطر لقضاء بعض الوقت فيه ، حتى نجد وسيلة أخرى ، لبلوغ موضع (هارولد) ، وإنقاذه من أيدى هؤلاء الأوغاد .

سألته وهما يصعدان إلى شقتهما :

- أتظننا سنجد وسيلة أخرى؟

أجاب فى حزم:

- إننى لا أفقد الأمل قط .

بلغا الشقة ، وفتح هو بابها ، وقال فى مرح :

- تفضلى يا أميرتى .

دخلت إلى المكان ، وامتدت يدها تضىء مصباح الردهة ، و ..

ولكن الأضواء غمرت المكان فجأة ، مع صوت (فوستر) ، وهو يقول فى لهجة تجمع بين السخرية والشماتة :

- ما الذى أخركما حتى هذه الساعة ؟.. إننا ننتظركما منذ زمن طويل .

وكان المكان يمتلئ برجال المخابرات الأمريكية .. وبرائحة الموت .

* * *



١٠ - السقوط ..

كان وقع المفاجأة ، على (حسام) و (منى) قاسياً بالفعل .. خاصة بعد كل هذا ..

لقد خاضا معاً الكثير من المتاعب والصعاب ، حتى بلغا المكان الوحيد ، الذى يتصوران أنه آمن ، فى (نيويورك) كلها ، فإذا بهما يسقطان فيه ، فى أيدى خصومهما ..

وفى وجهيهما ، ارتفعت فوهات عشرة مدافع آلية ، وبينها بدت ابتسامة (فوستر) الشامتة الساخرة ، وهو يقول :

- مرحباً يا عزيزى (دافيد) .. مرحباً يا عزيزتى (ليا) .. بأية لغة تحدثتما ، عندما دخلتما إلى هنا .

أجابه (حسام) فى حنق :

- استنتج بنفسك أيها العبقرى .

ابتسم (فوستر) ، قائلاً :

- إنها ليست العبرية على أية حال .

حاولت (منى) أن تصبغ صوتها بنبرة ارتياح ، وهى تقول :

- بالطبع .. إنه ليست العبرية .

وأثمرت محاولتها جيداً ، فقد رمقها (فوستر) بنظرة حادة طويلة ، قبل أن يقول فى بطء :

- إنكما تتعمدان عدم التحدث بها .. أليس كذلك ؟

أشاحت بوجهها ، دون أن تجيب ، مما عمّق الفكرة داخله ، فقال فى صرامة :

- ستسببان حرجاً شديداً لدولتكما .
أجابه (حسام) في برود :
- ليس هذا من شأنك .
نهض (فوستر) من مقعده ، وأخرج من جيبه سيجاراً ضخماً ، فقضم طرفه ، ثم وضع الطرف الآخر بين شفتيه ، وأشار إلى أحد رجاله ، فأسرع يشعله له ، ونفث هو منه نفساً عميقاً ، قبل أن يقول :
- أتعلمان .. أنني لا أدخن في الواقع ، فمن الخطأ - كما تعلمان - أن يرتبط أحد العاملين في مهنتنا بالعادات السيئة ، مثل التدخين ، واحتساء الخمور ، وتناول المخدرات ، وغيرها ، فهذا يضعف من قدراته ، و...
قاطعه (حسام) في سخرية مريرة :
- أمن الضروري أن نستمع إلى نصائحك الغالية ؟ .. ألا يمكن إعدامنا مباشرة ؟
صمت (فوستر) لحظات ، وهو يتطلع إليه ، ثم قال ملوحاً بكفه :
- لا .. لستما مضطرين لهذا .
ثم اعتدل ونفث دخان سيجاره مرة أخرى ، مستطرداً :
- إنني أحتفل بانتصاري عليكما فحسب .
قال (حسام) ساخراً :
- وهل يدفعك هذا إلى انتحال شخصية قاطرة بخارية ؟
بدا الضيق على وجه (فوستر) ، وهو يقول :
- أنت وقح أكثر مما ينبغي .
ثم عاد يلوح بكفه ، مستطرداً :

- فليكن .. ستدفع ثمن وقاحتك هذه فيما بعد ، أما الآن فأظنكما تتلهفان على معرفة كيفية توصلي إليكما .
قالت (منى) في برود :
- هذا الأمر لا يهمني قط .
واجهها قائلاً :
- كذب .. أنت امرأة .. وكل النساء يمتزن بالفضول ، ولا يمكنهن كتمان فضولهن أبداً .
قالت في حزم .
- فيما عداي .
كرر في صرامة :
- كذب .
ثم راح يسير أمامهما ، وهو يواصل :
- عندما تعقدت الأمور ، رحت أبحث عن وسيلة منطقية للعثور عليكما ، وعندئذ تذكرت أن أجهزة الفحص في منزلي ، كانت قد أثبتت أن (ليا) لم تكن تحمل معها أجهزة تصنت ، عندما دخلت المنزل ، فمن أين أتت بالجهازين ، اللذين زرعتهما في حجرة مكتبي ؟ .. كان الجواب المنطقي الوحيد هو أنها أحضرتهما من النافذة الوحيدة بالحجرة .. ورحت أتخيل عزيزتنا (ليا) ، وهي تفتح النافذة ، بعد أن غادرت أنا الحجرة ، بسبب قصة القنبلة السخيفة ، ثم يقذف إليها شخص ما جهازي التصنت عبر النافذة .. نعم .. كان هذا منطقياً ، والوسيلة الوحيدة ، التي يمكنها بلوغ نافذة الحجرة ، دون أن ينتبه إليها رجالي ، هي سهم مثلاً .. سهم عادي يطلقه شخص يجيد استخدام القوس والسهم .

اعترفت (منى) بذكاء (فوستر) الشديد ، عند هذه النقطة ، وبأنه يستحق عن جدارة لقب (ثعلب المخابرات) ، الذى اشتهر به ، واستمعت إليه بمزيد من الاهتمام ، وهو يتابع :

- كان هذا ينقلنا مباشرة إلى السؤال التالى ، وهو : من أية نقطة يمكن إطلاق مثل هذا السهم ، لبلوغ نافذة حجرة مكتبتى ؟.. وكان الجواب بالغ البساطة .. إنه إحدى شقق البناية المواجهة لمنزلى تماماً .. وهنا أصبحت المشكلة بالغة البساطة .. يكفى أن نسأل حارس البناية ، عن أصحاب الرسمين ، اللذين وضعهما أحد خبراء الإدارة ، لنعلم أية شقة تحتلان ، ونصل إليكما بهذه السهولة .

انتهى من حديثه ، وابتسامة الزهو والثقة تملأ وجهه كله ، ثم ساد صمت تام داخل المكان ، قطعه (فوستر) ، وهو يسأل (حسام) :

- ما رأيك ؟

أجابه (حسام) فى برود :

- الواقع أننى أفضل أفلام (شارلى شابلن) (*) .

قال (فوستر) فى سخرية :

- من المؤسف أنك لن تجد الكثير منها فى السجن .

بدا شبح ابتسامة على وجه (حسام) ، وهو يقول :

(*) (تشارلز سبنسر شابلن) (١٨٨٩ - ١٩٧٧م) : مخرج وممثل ومنتج سينمائى أمريكى ، من أصل بريطانى ، ابتكر واحداً من أفضل الشخصيات الهزلية السينمائية ، وهى شخصية (شارلى الصعلوك) ، فى سنوات السينما الصامتة وهى لشخص هزيل ضئيل ، يحاول دائماً التغلب على مشكلات شبه مستحيلة ، من أشهر أفلامه : (الباحث عن الذهب) ، (أضواء المدينة) ، (العصر الحديث) ، و(الديكتاتور) .

- هل تراهن ؟

وفجأة انقض (حسام) على (فوستر) ، وأحاط عنقه بذراعه اليسرى ، فى نفس اللحظة التى استل فيها مسدسه بيمناه ، وألصقه برأس الرجل ، هاتفاً فى سخرية :

- أخطأت بمحاصرتك المملة يا رجل .. كان ينبغى أن تأمر رجالك بتفتيشنا أولاً .

تحفز رجال (فوستر) لإطلاق النار ، ولكن (حسام) صاح بهم فى صرامة :

- حذار أن يتحرك أحدكم ، وإلا انفجر رأس زعيمكم الوغد هذا كبالون كبير .

هتفت (منى) بالإنجليزية :

- أحسنت .

وقال (فوستر) فى حنق :

- أتظنك ستربح هكذا ؟

أجابه (حسام) فى صرامة :

- نعم .. أظننى سأفعل ، فلن يجرؤ أحد أوغادك على إطلاق النار ، وأنا أصنع منك درعاً .

قال (فوستر) فى حدة :

- لن يمكنك الفرار حتماً ، حتى لو احتفظت بى كرهينة .

شدد (حسام) من ضغط ذراعه على عنقه ، وهو يقول :

- دع هذا لى .

أجابه (فوستر) فى غضب :

- ولى أيضاً يا فتى .

وفجأة ارتفعت يد (فوستر) ، لتمسك معصم (حسام) ، فى اليد الممسكة بالمسدس ، وترفع فوهة المسدس عاليًا ، ثم دفع مرفق ذراعه الأخرى فى معدة (حسام) ، وانزلق بجسده متحرزًا من ذراعه ، وملقيًا نفسه أرضًا ، وهو يصرخ :

— الآن يا رجال .

وانطلقت رصاصات مدافع رجاله .

انطلقت كلها نحو (حسام) ..

وفى هذه المرة ، استقبل جسد البطل معظم الرصاصات ، التى انتزعت جسده من مكانه ، وضربته بالحائط ، قبل أن يسقط على وجهه ، مع صرخة (منى) :

— لا .. لا .

رأت الدماء تسيل من جسد (حسام) ، الذى انتفض فى قوة ، ثم خمدت حركته تمامًا ، فعادت تصرخ :

— لا .. لا .

ثم سقطت منهارة ، وهى تبكى فى حرارة وألم .

أما (فوستر) ، فقد اندفع نحو (حسام) ، وانحنى يفحص نبض وريده العنقى فى اهتمام ، ثم هتف :

— إنه حى .

هتف أحد رجاله فى دهشة :

— حى ؟!.. بعد كل هذه الرصاصات ؟!

تجمدت الدموع فى عينى (منى) ، وهى تحدق فى جسد (حسام) فى دهشة وأمل ، فى حين فحص (فوستر) جسد (حسام) فى سرعة ، قبل أن يهتف :



أما (فوستر) ، فقد اندفع نحو (حسام) ، وانحنى يفحص نبض وريده العنقى فى اهتمام ..

- عجبًا !! .. إنه يرتدى قميصًا واقيًا من الرصاصات ، ولكن يبدو أن إحدى رصاصاتنا اخترقت جانب عنقه ، واشتركت مع ارتطامه بالحائط ، فى إصابته بفقدان الوعى هذا .. أسرعوا فى طلب سيارة إسعاف إذن .. أسرعوا .

وهنا انخرطت (منى) مرة أخرى فى بكاء حار ..

وكان طعم دموعها ، فى هذه المرة ، يختلف ..

كانت دموع ارتياح لنجاة (حسام) من الموت ..

وهذا هو الربح الوحيد ، فى المهمة كلها ..

المهمة التى فشلت ..

فشلت تمامًا ..

* * *



١١ ـ الفشل ..

« فشلت ؟! .. »

نطقها مدير المخابرات فى شحوب شديد ، وهو يتطلع إلى مساعده فى ارتياع ، فأومأ مساعده برأسه إيجابًا فى أسف ومرارة ، وهو يقول :

- نعم يا سيِّدى .. يمكنك أن تعتبر هذه المهمة فاشلة تمامًا .. لقد فشل (حسام) و (منى) فى إنقاذ (هارولد) ، أو حتى قتله ، وعلى العكس ، فقد نجح رجال الـ (سى . آى . إيه) فى إلقاء القبض عليهما ، وإصابة (حسام) بإصابة خطيرة ، لم يستعد وعيه منها حتى الآن ، وهم يحتفظون به فى مستشفى السجن المركزى ، أما (منى) ، فسيتم تقديمها إلى المحاكمة ، بتهمة الجاسوسية .

سأله المدير فى حزن شديد :

- وهل عرف الأمريكيون هوية (حسام) و (منى) ؟

أجابه مساعده :

- لا يا سيِّدى .. وهذه هى النقطة الوحيدة فى صالحنا ، فى العملية كلها ، ولكنها نقطة مؤقتة ، فلن يلبث الأمريكيون أن يكشفوا أمرهما ، مع مرور الوقت .

زفر المدير فى مرارة ، وهز رأسه ، قائلاً :

- أعلم هذا .. إنها مسألة وقت .. مسألة وقت فحسب .

ثم رفع عينيه إلى مساعده ، مستطردًا :

ـ أعلمت الآن لماذا كنت أقدّر (أدهم صبرى) ؟

قطب المساعد حاجبيه ، وقال :

ـ وماذا كان (أدهم صبرى) سيفعل ، فى مثل هذه الظروف ؟

قال المدير :

ـ الكثير .

ثم خفض عينيه ، مستطردًا فى أسى :

ـ ولكن لكل شىء نهاية .. لقد مضى عصر (أدهم صبرى) .. مضى إلى الأبد ..

* * *

«أنت متهمة بالتجسس على حكومة الولايات المتحدة الأمريكية .. هل تعترفين بالتهمة أم ترفضينها ؟»

وَجه قاضى المحكمة الفيدرالية هذه العبارة لـ(منى) ، فى صرامة واضحة ، فرفعت (منى) إليه وجهها الشاحب المتهالك ، وقالت :

ـ أرفضها بالطبع ، فلم آت إلى هنا للتجسس .

سألها فى صرامة :

ـ لماذا تخفين حقيقة جنسيتك إذن ؟

أجابته بصوت متعب مكدود :

ـ هذا شأنى .

رمقها القاضى بنظرة ازدراء ، وكأنما لم يرق له جوابها ، ثم سألها :

ـ هل يمكنك توكيل محام للدفاع عنك ، أم تنتدب لك المحكمة محاميًا لهذا ؟

أجابته فى يأس :

ـ فلتنتدب المحكمة من تشاء .

كانت القاعة خالية تمامًا ، إلا منها ، ومن رجلى مخابرات أمريكيين ، والقاضى والحاجب ، وكاتب الجلسة ، فلم تكن جلسة محاكمة ، وإنما كانت جلسة تحديد موعد ونوع المحاكمة ، لذا فقد قال القاضى فى حزم :

ـ ستتم المحاكمة بعد أسبوعين من الآن ، وستنتدب هيئة المحكمة محاميًا للدفاع عنك ، وإلى هذا الحين ، تأمر بحبسك احتياطيًا ، فى السجن النسائى الفيدرالى ..

كانت قد سمعت الكثير عن السجن الفيدرالى ، وتعلم أنها ستقضى فيه أسوأ أسبوعين فى عمرها كله ، مالم تقض فيه كل عمرها هذا ..

ولم يكن لديها ماتفعله ..

لقد فشلت المهمة ، ووقعت فى أيدى خصومها ..

لقد واجهت أخيرًا ما كانت تخشاه طيلة عمرها ..

وفى استسلام تام ، تركتهم يحصلون على بصماتها ، ويقودونها إلى السجن الفيدرالى الرهيب ، وعندما أبدلت ثيابها بثوب السجن الرمادى الكئيب ، سألها مأمور السجن :

ـ هل ترغبين فى شىء قبل دخول زنزانتك ؟

كانت تعلن رفضها الحصول على أى شىء ، إلا أنها لم تلبث أن تذكرت أمرًا ما ، بعث فى نفسها شيئًا من الأمل ، فترددت لحظة ، ثم قالت :

ـ إن لى الحق فى إجراء محادثة هاتفية واحدة .. أليس كذلك ؟

أجابها مأمور السجن :
ـ نعم .. لك الحق فى هذا .
ترددت مرة أخرى ، ثم سألته :
ـ ألى الحق فى طلب هذه المحادثة ، عبر المحيط ؟
تبادل مأمور السجن نظرة متسائلة مع نائبه ، الذى قال :
ـ القانون لم يحدّد مدى المحادثة .. نعم أظن من حقك هذا .
سألته فى حزم :
ـ وهل من حقى ألا يستمع أى مخلوق للمحادثة ؟
أجابها المأمور :
ـ هذا من حقك تمامًا .
شعرت بالارتياح ، وهى تقول :
ـ فى هذه الحالة أريد التحدث هاتفيًا ، عبر المحيط .
كان هذا هو أملها الوحيد ..
والأخير ..

* * *

تهالك (هارولد) تمامًا ، فوق ذلك المقعد الضخم ، الذى قيّد رجال الـ (سى . آى . إيه) أطرافه إليه ، والذى اتصلت به عدة أسلاك كهربية طويلة ، تنتهى عند جهاز فى حجم منضدة صغيرة ، جلس خلفه أحد الرجال ، الذين يرتدون المناظير السوداء ، وأخذ يداعب أزراره بسبّابته فى تراخ ، قائلاً :
ـ هيا يا عزيزى (هارولد) .. إنك رجل صلب بحق ، فقد احتملت الكثير حتى الآن ، واستطعت كتمان سرك فى أعماقك ، ولكنك بشر يا عزيزى .. مجرّد بشر ، ومهما بلغت قدرتك على

الاحتمال ، فستنهار حتمًا وتعترف .. صدقنى .. لقد شاهدت عشرات مثلك ، فى نفس الموقف .
قال (هارولد) فى تهالك :
ـ ما تفعلونه بى غير قانونى .. ستعاقبون من أجل هذا .
ابتسم الضخم فى سخرية ، وهو يقول :
ـ غيـــر قانونـــى ؟!.. يالك من غرّ ساذج يا عزيـــزى (هارولد) !.. ألم تتعلم شيئًا بعد ، من إقامتك فى (أمريكا) ، أو من العمل معنا ؟.. ليس المهم هنا أن يكون العمل قانونيًا ، أو غير قانونى يا (هارولد) .. المهم أن يمكنك إثبات هذا .
قال (هارولد) :
ـ أنتم أوغاد .
اتسعت ابتسامة الضخم ، وهو يقول :
ـ أنت على حق يا عزيزى (هارولد) .. أنت على حق .
وفى هدوء ، لمس أحد أزرار الجهاز ، فانتفض جسد (هارولد) فى قوة ، وانضغطت أسنانه فى وجه صرخة ألم مكتومة ، استغرقت ثوانىَ معدودة ، قبل أن يرفع الضخم سبّابته عن الزر ، قائلاً بابتسامة متشفية :
ـ هل يروق لك هذا يا (هارولد) ؟
تهالك (هارولد) تمامًا مرة أخرى ، وتصبّب على جبينه عرق غزير ، فى حين أطلق الضخم ضحكة عالية ، وقال :
ـ لمسة بسيطة لأحد الأزرار ، ويسرى فى جسدك تيار كهربى محدود ، قد لا يكفى لقتلك ، كما يحدث فى الإعدام بالكرسى الكهربائى ، ولكنه مثالى لتنقبض كل عضلة فى جسدك ، مع آلام رهيبة .. لمسة واحدة يا عزيزى (هارولد) .

قال (هارولد) فى انهيار :

- إنها لمسة شر .. ستدفعون ثمنها غاليًا .

قهقه الضخم ضاحكًا مرة أخرى، وقال :

- تدفع ثمنها ؟!.. من الواضح أنك لم تفهم بعد يا (هارولد) .

ولمس الزر مرة أخرى، فأطلق (هارولد) صرخته المكتومة، وراح جسده ينتفض فى عنف، قبل أن يرتفع صوت صارم فى الحجرة، قائلاً :

- كفى .

رفع الضخم سبابته عن الزر فى سرعة، وانهار (هارولد) على مقعده، و (دانى) يقول فى غضب :

- ماذا تفعل يا رجل ؟.. هل نسيت من أنت، وماذا تفعل هنا ؟.. إننا جهاز مخابرات محترم، يقوم باستجواب عميل خائن، ولسنا مجموعة من النازيين، تستمتع بتعذيب أسير .

ارتبك الضخم، وهو ينهض قائلاً :

- لم أقصد هذا يا مستر (دانى)، ولكن ..

قاطعه (دانى) غاضبًا :

- من الواضح أنك تحتاج إلى علاج نفسى يا رجل .

ازداد ارتباك الضخم، وهو يقول :

- ليس إلى هذا الحد يا مستر (دانى) .. الواقع أننى ..

قاطعه (دانى) مرة أخرى فى حزم صارم :

- اذهب يا رجل .. عد إلى الإدارة، فقد تم إعفاؤك من هذه المهمة .

بدا الضيق على وجه الرجل، كما لو كان طفلاً، انتزعت منه

لعبته المفضلة، وألقى نظرة محنقة على الجهاز، وأخرى على (هارولد)، قبل أن يقول :

- كما تأمر يا مستر (دانى) .. كما تأمر .

وغادر الحجرة فى خطوات سريعة حاسمة ..

ولثوان، بعد مغادرته الحجرة، ساد صمت تام فى المكان، ثم اتجه (دانى) إلى حيث يجلس (هارولد)، وربت على كتفه، قائلاً :

- كيف حالك ؟

قال (هارولد) فى مرارة :

- ياله من سؤال سخيف !

مط (دانى) شفتيه، وقال :

- أعلم أنك تمقت ما فعلناه بك يا عزيزى (هارولد) .. ولكن ما ذنبنا نحن .. أنت أجبرتنا على هذا بعنادك وإصرارك على كتمان الأمر .

قال (هارولد) فى سخط :

- هناك وسائل قانونية .

ابتسم (دانى) فى سخرية، وقال :

- قانونية ؟!.. آه .. بالطبع يا عزيزى (هارولد) .. هناك وسائل قانونية .

ثم اتجه نحو الجهاز الرهيب، ورفع سبابته أمام وجهه، مستطردًا :

- وهناك وسائل أفضل .

ارتجف (هارولد) هذه المرة، وهو يتصور سبابة (دانى) تلمس الأزرار، وتطلق فى جسده ذلك التيار الكهربى المؤلم ..

إنها أكثر لمسة يكرهها ويمقتها، فى الكون كله ..

لمسة الشر ..

والألم ..

والعذاب ..

وفى تهالك، قال (هارولد) :

ـ لا يا (دانى) .. أرجوك .

برقت عينا (دانى)، وهو يقول :

ـ كما تأمر يا عزيزى (هارولد) .. يكفى أن تطلب هذا .

ثم أردف بابتسامة خبيثة :

ـ ولكن ما المقابل ؟

أدرك (هارولد) ما يقصده (دانى)، فقال فى مرارة :

ـ اذهب إلى الجحيم .

قال (دانى) فى برود :

ـ هكذا ؟!

ثم لمس الزر فى هدوء، ورأى (هارولد) ينتفض أمامه من الألم لثوان، قبل أن يرفع سبابته عن الزر، فيتهالك (هارولد) تمامًا ..

وانتظر (دانى) لحظات، حتى هدأ تصبب العرق، على جبين (هارولد)، ثم قال فى هدوء :

ـ المؤسف يا عزيزى (هارولد) هو أن إصرارك هذا لن يفيد كثيرًا .

وأخرج من جيبه صحيفة (نيويورك تايمز)، الصادرة فى الصباح نفسه، واتجه إلى (هارولد)، وفردها أمامه، قائلا :

ـ اقرأ هذا الخبر .

فتح (هارولد) عينيه فى صعوبة، وقرأ فى أسفل الصفحة خبرًا، يشير إلى إلقاء القبض على جاسوسين أجنبيين، لم تتحدد جنسيتهما بعد، مع صورة لـ(حسام)، وهو يرقد فى المستشفى فاقد الوعى، وأخرى لـ(منى)، بين أيدى رجال الشرطة الفيدرالية، و(دانى) يقول :

ـ أراهن أنك تعرفهما يا عزيزى (هارولد)، فهما من مواطنيك، وكانت مهمتهما هى إنقاذك .

ألقى (هارولد) نظرة أخرى على الصورتين، ولكنه لم يتعرّفهما، كما يتصوّر (دانى) ..

لقد قضى أكثر من نصف عمره، فى الولايات المتحدة الأمريكية، لا يلتقى إلا برجل واحد، من رجال المخابرات المصرية، ولا يعرف سواه ..

أكثر من عشرين عامًا، قضاها منغمسًا فى المجتمع الأمريكى، محاولا مد جذوره فى أعماقه، والتلوّن بصبغته، حتى كاد ينسى اسمه المصرى، الذى لم يعد يستخدمه، منذ ما يقرب من ربع القرن ..

ولكن (دانى) يظن أنه يعرف صاحبى الصورتين ..

هل يوافقه على هذا، أم ينكر الأمر ؟..

لم يكن عقله يعمل بالصفاء اللازم، لاتخاذ قرار فى هذا الشأن، ولكنه راح يعتصر ذهنه، للبحث عن جواب مناسب، حتى قال (دانى) :

ـ لقد وقعا فى أيدينا، ولن نلبث أن نكشف أمرهما تمامًا .

ونحصل على اعترافات صريحة منهما ، قد تتسبب فى إثارة أزمة دبلوماسية ضخمة ، بيننا وبين (تل أبيب) .. أعنى بين دولتينا .

صمت (هارولد) تمامًا ، ولم يحر جوابًا ، وطال صمته بعض الوقت ، فألقى (دانى) الصحيفة جانبًا ، وقال :

- فليكن يا عزيزى (هارولد) .. إنك تضطرنى إلى التعامل معك بذلك الأسلوب ، الذى تبغضه .

واتجه إلى الجهاز ، وقال :

- أسلوب لمس الأزرار .

هتف (هارولد) :

- لا .. أرجوك .

قال (دانى) فى شراسة ، تمتزج بشىء من العصبية :

- اعترف إذن يا (هارولد) .. أخبرنا ما نريده منك ، فينتهى كل شىء على الفور .. هيا يا (هارولد) .. أنت الذى يملك إنهاء كل هذا .

قفزت إلى ذهن (هارولد) مشاهد عديدة ، أشبه بشريط سينمائى متصل ..

مشاهد من طفولته بـ(مصر) ..

وصباه ..

وشبابه ..

ثم مشاهد من عمله فى (أمريكا) ..

وامتزج هذا بذاك ، وارتبك ذهنه لحظات ، تراخى جسده بعدها ، وهو يقول فى مرارة :

- سأعترف يا (دانى) .. سأخبرك بكل ما تريد معرفته .

وفى استسلام تام ، راح يروى كل ما لديه ..

وبكل التفاصيل .

* * *

١٢ - عبر المحيط

مطَّ مساعد مدير المخابرات المصرية شفتيه ، وهو يطالع الخبر المنشور فى (نيويورك تايمز) ، ثم طوى الصحيفة ، وأزاحها جانبًا ، وهو يقول :

- إنهم يتباهون بفوزهم .

أشاح المدير بوجهه فى ضيق ، مغمغمًا :

- من حق المنتصر أن يفعل دائمًا .

قال مساعده فى حنق :

- يا للأوغاد !

ثم لوَّح بكفه ، مستطردًا :

- وهل سنترك رجالنا هكذا ؟

التفت إليه المدير ، وسأله :

- وماذا يمكننا أن نفعل ؟

هتف المساعد :

- نحاول إنقاذهم .. نساعدهم على الفرار .. أو نرسل إليهم محاميًا على الأقل .

صمت المدير لحظة ، ثم قال :

- سأدرس هذه الاقتراحات .

وشرد ببصره لحظة ، قبل أن يستطرد :

- ولكن من الضرورى أن يتم أى إجراء نتخذه فى صمت ، ودون الإشارة إلينا من قريب أو بعيد .

قال مساعده :

ـ ليس هذا بالأمر العسير .

تنهد المدير ، قائلاً :

ـ هذا ما تظنه .

ثم نهض من خلف مكتبه ، واتجه إلى نافذته ، وراح يتطلع منها لحظة ، قبل أن يضيف :

ـ إنها ستكون عملية جديدة ، تحتاج إلى المزيد من الرجال ، ومن الخطط الجديدة ، ولكن الأمر الوحيد المؤكد ، هو أننا لن نتخلى أبداً عن رجالنا ، مهما كان الثمن .. لن نتخلى عنهم قط .

* * *

كتم (قدرى) دموعه فى صعوبة ، وهو يقرأ ذلك الخبر ، الذى يحمل صورتى (منى) و (حسام) ، ثم ألقى الصحيفة جانبًا ، وهو يقول فى حنق :

ـ اللعنة !

كانت دموعه تقاتل لتنهمر من عينيه ، مع ذلك الشعور العارم بالمرارة ، الذى يملأ نفسه ، ويكاد يفيض من ملامحه وعروقه ..

إنه لم يعد يحتمل ..

لم يعد يحتمل ذلك العالم البغيض ، الذى يحيا فيه ..

عالم الصراعات والشرور ..

قاوم دموعه أكثر وأكثر ، وحاول أن يتشاغل فى بطاقة جديدة ، من البطاقات السرية للمخابرات المركزيـة الأمريكيـة ، كان (هارولد) قد أرسلها إليه منذ شهر أو يزيد ، ليحاول تزويرها ، وصنع بطاقات شبيهة ..

ولكنه لم يستطع ..

كانت أصابعه ترتجف ، وعيناه تغيمان بدموع حبيسة ..

وهو شخص عاطفى ..

عاطفى أكثر مما ينبغى ..

وأكثر مما يحتمل العمل فى مجاله ..

وعاطفيته هذه تؤلمه ..

تحطمه ..

تقتله ..

غصّ حلقه مرة أخرى بالدموع ، وهو يقاوم ويقاوم ..

ما الذى ربحه من هذا العمل ؟..

صحيح أنه أشهر خبير تزوير معروف ، ولكنه أتعس رجل فى الدنيا ..

إنه يفقد أصدقاءه ، واحداً بعد الآخر ..

فى البداية خسر (حازم) ..(*)

ثم (أدهم) ..(* *)

(أدهم) ، الذى لم يرتبط بمخلوق فى حياته كلها ، مثلما ارتبط به ..

(أدهم) الرقيق ، المهذب ، اللبق ، الحنون ..

وهنا عجزت عيناه عن حبس دموعهما ، مع ذكرى (أدهم) ، فهتف فى مرارة :

ـ اللعنة !.. لماذا أقاوم ؟

(*) راجع قصة (الرصاصة الذهبية) .. المغامرة رقم (٤٧) .

(* *) راجع قصة (وكر الإرهاب) .. المغامرة رقم (٠٠) .

تفجرت دموعه الحبيسة ، وتركها تغرق وجهه ، وتتساقط على أوراقه ، وهو يعتمد جبهته براحتيه ، منتحبًا في حرارة ..

إنه لن ينسى أبدًا ذلك اليوم ، الذي بلغه فيه خبر مصرع (أدهم) في (المكسيك) ..

يومها بكى ، كما لم يبك من قبل ..

صحيح أن أحدًا لم يلمح دموعه يومها ، ولكن جدران حجرته ومعمله رأت أنهارًا منها تنهمر في غزارة ..

ولم ينس (أدهم) أبدًا حتى الآن ..

من ذا الذي ينساه ؟.

من ينسى أعظم رجل مخابرات في العالم ؟.

الرجل الذي انحنت له أنظمة المخابرات ، في قارات العالم الست ..

من ينساه ؟..

ترك دموعه تنهمر في غزارة ، وشعر بالارتياح مع سقوطها ، وكأنها كانت تجثم على صدره وأعصابه ..

اليوم أيضًا فقد (منى) ..

آخر الأصدقاء والأحبة ..

اليوم خسر لمسة الأنوثة الرقيقة ، في عالم المخابرات العنيف ..

وفجأة ارتفع رنين الهاتف ..

هاتفه الخاص المباشر ، الذي يندر أن ينطلق رنينه في حجرته ، مع قلة عدد معارفه وأصدقائه ..

ولوهلة ، تساءل (قدرى) عمن يمكن أن يتصل به ، عبر هذا الرقم بالذات ، ثم لم يلبث أن اختطف سماعة الهاتف ، قائلًا :

- من المتحدث ؟

أتاه صوت مألوف ، يقول :

- إنه أنا يا (قدرى) .

لم يصدق نفسه ، فانقبضت أصابعه على سماعة الهاتف في قوة ، وهتف :

- (منى) ؟!.. أهو أنت حقًا ؟.. كيف حالك يا (منى) ؟.. من أين تتحدثين ؟

تفجرت دموعه مرة أخرى مع كلماته ، وسمع صوتها تقول :

- إنني بخير نسبيًا يا (قدرى) ، فمازلت على قيد الحياة على الأقل ، وأتحدث إليك عبر المحيط ، من السجن الفيدرالى في (نيويورك) .

شعر بالأسى لقولها ، وهتف محاولًا بث روح الأمل والتفاؤل في أعماقها ، ومحو الكثير من يأسها :

- لن تستمر الأمور بهذا السوء يا (منى) .. صدقيني .. لابد أن يكون لديك إيمان بالله (سبحانه وتعالى) ، وألا يخلو قلبك أبدًا من الأمل .

صمت صوتها لحظة ، ثم قالت في تردد :

- لدى أمل واحد في الواقع يا (قدرى) .

سألها في اهتمام :

- ما هو يا (منى) ؟

ترددت لحظة أخرى ، ثم قالت في صوت يؤكد أنها قد حسمت أمرها :

- استمع إلىّ جيدًا يا (قدرى) ، فما سأخبرك به بالغ الأهمية والخطورة .. والسرية أيضًا .

واندفعت تروى ما لديها ..
واتسعت عينا (قدرى) فى ذهول ..
واتسعت ..
واتسعت ..

* * *

لم تكد (منى) تنتهى من إبلاغ (قدرى) ما لديها، وتعيد سماعة الهاتف إلى موضعها، حتى شعرت بارتياح بالغ، وكأنما أزاحت عن كاهلها حملًا ثقيلًا، وأطلقت من أعماقها زفرة حارة، فى نفس اللحظة التى دخل فيها مأمور السجن إلى حجرة الهاتف، وسألها فى هدوء :

- هل انتهيت من محادثتك ؟

أجابته فى ارتياح :

- نعم .. شكرًا لك .

تطلع إليها المأمور لحظة، وكأنما يحاول سبر أغوارها، قبل أن يقول :

- أتعلمين ما سيواجهك هنا ؟

أجابته فى خفوت :

- إلى حد ما .

تأملها مرة أخرى مشفقًا، ثم قال :

- صحيح أنك هنا، تحت الحبس الاحتياطى، بتهمة التجسس، ولكنك فى الواقع لا تبدين أبدًا كجاسوسة، وأخشى أن وجودك هنا، طوال الأسبوعين القادمين، سيبدو أشبه بالجحيم .

سألته :

- هل ستسىء معاملتى ؟

هزَّ رأسه نفيًا، وقال :

- لست أنا من سيفعل .. بل زعيمات السجينات هنا .

سألته فى مرارة :

- ألأننى متهمة بالتجسس ؟

عاد يهزُّ رأسه، قائلًا :

- لست أظن هذا يعنى الكثير بالنسبة إليهن، ولكنهن يفعلن هذا بكل قادمة جديدة، وكأنى بهن يعلنَّ أمامها سيطرتهن على عالمهن القذر البغيض .

ابتسمت قائلة :

- لا تقلق من أجلى، فى هذا الشأن .

تطلع إليها فى دهشة لحظة، ثم هزَّ رأسه، قائلًا :

- هذا شأنك .

ثم التفت إلى مساعدته، قائلًا :

- اذهبى بها إلى زنزانتها .

ألقت المساعدة نظرة شامتة على (منى)، ثم دفعتها أمامها، قائلة فى صرامة :

- هيا يا امرأة .

سارت (منى) أمامها، عبر ممر طويل، يضم عددًا ضخمًا من الزنزانات الصغيرة، فى كل منها امرأة، تتطلع إليها بابتسامة متشفية ساخرة ..

وعندما بلغت المساعدة تلك الزنزانة، المخصصة لـ (منى)، أمسكت معصم هذه الأخيرة فى قوة، وقالت فى صرامة شرسة :

- اسمعى ياصغيرتى .. من الواضح أنك تجهلين تمامًا أين أنت ، وتجهلين طبيعة هذا المكان ، ولكن من الضرورى أن تعلمى أنك ، بعبورك جدران هذا السجن ، قد أصبحت كمًا مهمـــلاً ، لاتساوى حياتك سوى تقرير إدارى صغير ، من بضعة أسطر ، وشاهدين من حثالة المجتمع ، وهذا يعنى ضرورة أن تلتزمى بكل مايوجه إليك من أوامر ، وألاتنسى أبدًا أننى هنا الرئيسة الحقيقية ، فالمأمور نفسه لايجرؤ على دخول هذه المنطقة .. هل تفهمين ؟

أجابتها (منى) فى برود :

- إلى حد ما .

صاحت بها المساعدة فى غلظة :

- بل ينبغى أن تفهمى جيدًا .

ابتسمت (منى) فى سخرية ، وهى تقول :

- ربما كنت بطيئة الفهم .

رمقتها المساعدة بنظـــرة غاضبـــة شرسة ، ثم قالت فى عصبية :

- لدى من تساعدك على سرعة الفهم .

ثم صرخت :

- (سيرينا) .

ظهرت زنجية ممشوقة القوام ، صارمة الملامح ، قوية البنيان ، رمقت (منى) بنظرة قاسية ، وهى تقول للمساعدة :

- ماذا تريدين يا (هويا) ؟

أشارت (هويا) إلى (منى) ، قائلة فى لهجة أقرب إلى الشماتة :

- هذه الأجنبية بطيئة الفهم .

تألقت عينا (سيرينا) ، وهى تقول فى لهجة أقرب إلى الجذل :

- حقًا ؟!

ابتسمت (هويا) فى تشفٍ ، وهى تقول :

- حاولى تعليمها سرعة الفهم يا (سيرينا) ، وأسرعى ، فلن تبقى بيننا سوى أسبوعين فحسب .

غمغمت (سيرينا) فى سخرية :

- ياللخسارة !

أطلقت (هويا) ضحكة ساخرة ، وغادرت المكان فى خطوات سريعة ، وهى تقول لـ (منى) فى شماتة :

- سجنًا سعيدًا يا فتاتى .

ورددت جدران السجن صدى ضحكاتها الساخرة ..

* * *

انعقد حاجبا (فرانك جير) ، مدير قسم مكافحة الجاسوسية ، فى المخابرات الأمريكية ، وهو يطالع اعتراف (هارولد) فى عناية ، ثم لم يلبث أن ألقاه جانبًا فى حدة ، هاتفًا :

- هراء .. كل هذا مجرد هراء .

قال (فوستر) فى صرامة :

- ما الهـــراء فيـــه يا (فرانك) ؟.. إنـــه اعتـــراف واضح وتفصيلى ، وهو يتفق تمامًا مع وصول (دافيد) و (ليا) ، اللذين ألقينا القبض عليهما .

هتف (فرانك) :

- بل هى محاولة فاشلة ، لتوريط (الموساد) فى العملية ..

من المستحيل أن ينتمي (هارولد) هذا لـ (الموساد) .. لن يمكنك إقناعي بهذا أبدًا، حتى ولو اعترف هو نفسه بهذا .

رمقه (فوستر) بنظرة شك، وهو يقول :

- ولكن الاعتراف وحده لا يكفينا لإدانته يا (فرانك)، أو لتصديقه، وأنت تعلم هذا جيدًا .. لقد راجعنا اعترافه نقطة نقطة، ووجدنا أنه يحتمل الصدق تمامًا، فكل العناوين والأسماء التي أدلى بها، والتي كانت أماكن وأشخاص الاتصالات، صحيحة تمامًا .

لوّح (فرانك) بيده، هاتفًا :

- أي جهاز مخابرات يمكنه معرفة هذه المعلومات، وتنسيقها داخل قصة زائفة، بحيث تبدو كما لو كانت حقيقة .

سأله (فوستر) :

- أي جهاز مخابرات مثل ماذا ؟

هتف (فرانك) :

- أي جهاز .. المخابرات المصرية مثلًا .

قال (فوستر) في بطء :

- ولم لا يكون (الموساد) ؟

لم يحر (فرانك) جوابًا، وساد الصمت لحظات؛ حتى قال (فوستر) في صرامة وحزم :

- لماذا تتعاطف إلى هذا الحد، مع (الموساد) يا (فرانك) ؟

صاح (فرانك) :

- أتعاطف ؟!.. ولماذا أتعاطف مع (الموساد) يا (فوستر) ؟

أجابه (فوستر) في خبث :

- ربما كنوع من الانتماء الديني .

صاح غاضبًا :

- انتماء ديني ؟!.. أتتهمني بالتآمر مع جهاز مخابرات آخر يا (فوستر) ؟

هزّ (فوستر) كتفيه، وقال في دهاء :

- إنني أسأل فحسب .

ضرب (فرانك) سطح مكتبه بقبضته، وهتف :

- لا يا (فوستر) .. لست أتعاطف مع (الموساد)، أو الـ (كي. جي. بي)، أو أي جهاز مخابرات آخر، ولكنني أحاول تقييم الأمور بعقلي، بدلًا من السقوط كالغرّ الساذج، في أي فخ بدائي، يعده لي جهاز مخابرات عربي .

قال (فوستر) في هدوء، ودون أدنى انفعال :

- ولماذا عربي ؟

هتف (فرانك) :

- لأنهم يحاولون توريط (الموساد)، وأنت تعلم أنه الخصم اللدود لكل أجهزة المخابرات العربية، وبالذات المصرية والسورية .

قال (فوستر)، وهو يضغط حروف كلماته في شدة :

- أريد أدلة واضحة .

صاح (فرانك) :

- ألم تر هذه الفتاة ؟.. أتبدو لك إسرائيلية ؟

قال (فوستر) :

- لا يوجد ما يمنع كونها كذلك .

انعقد حاجبا (فرانك) فى شدة، وهو يقول :
- أنا واثق من أنها ليست إسرائيلية .
نهض (فوستر)، وقال :
- إنها وجهة نظرك يا عزيزى (فرانك)، وسأحترمها تماما .
ثم استدرك فى حزم :
- على أن تحترم وجهة نظرى .
تراجع (فرانك) فى مقعده، قائلا :
- وما وجهة نظرك أيها العبقرى ؟
أجابه (فوستر)، وهو يستدير منصرفا :
- لقد فعلها الإسرائيليون من قبل يا صديقى، وزرعوا بعض جواسيسهم بيننا، ولست أستبعد أن يفعلوا هذا ثانية .

لم يجب (فرانك)، وإن بدا وكأن حاجبيه سيمتزجان، من شدة التقائهما، وهو يتابع (فوستر) ببصره، فى حين فتح هذا الأخير الباب، والتفت إلى (فرانك)، وابتسم ابتسامة خبيثة غامضة، وهو يلوّح بيده، قائلا :
- وستثبت الأيام صدق أحدنا يا صديقى .. إلى اللقاء .

وأغلق الباب خلفه فى هدوء، لتغرق الحجرة فى صمت عميق، قطعه (فرانك) وهو يتمتم فى قلق وتوتر :
- أسلوبك هذه المرة لا يروق لى يا (فوستر) .. لا يروق لى أبدا .

صمت لحظات أخرى، وهو يدرس الأمر فى عمق، ثم لم يلبث أن هز رأسه فى قوة، وهو يقول فى حزم :
- لا يروق لى بالفعل .

واستدار يلتقط سماعة هاتف خاص إلى جواره، وضغط أزراره فى بطء وتأن، وانتظر حتى سمع صوت محدثه، فقال :
- مساء الخير يا (إيزاك) .. إنه أنا (فرانك) .. يبدو أن (هارولد) هذا يلعب لحساب المصريين، فهو يحاول توريطنا فى الأمر .. نعم .. لقد علمت هذا الآن فقط .. من (فوستر) نفسه .. من الضرورى أن ترسل أفضل رجالك يا (إيزاك)، لكشف حقيقة (هارولد)، قبل أن يربح المصريون اللعبة، وندفع نحن الثمن .. أفضل رجالك يا (إيزاك) .. هل تفهم ؟
أنهى المحادثة على الفور، وقال فى غضب واضح :
- لن نسمح لكم بهذا أيها المصريون .. لن نسمح به أبدا .
وكان من الواضح أن الحرب ستتخذ هذه المرة منحنى جديدا .. منحنى بالغ الخطورة .

* * *



١٢ ــ العودة ..

غربت الشمس فى (كيواوا) ..

لم تكن أوّل مرة تغرب فيها فى الأفق ، خلف ذلك الجدول ، الذى يشق المزرعة ، ولكن (أدهم) شعر بالحزن مع غروبها ..

ولم تكن أوّل مرة يخرج فيها لمشاهدة ذلك الغروب ، ولكنه فى كل مرة كان يشعر بالحزن نفسه ..

كان الغروب يذكره ، فى كل مرة ، بغروب شمسه هو ..

باعتزاله ..

وباتعزاله ..

لم يدر لماذا اتخذ هذا القرار ؟..

لماذا قرر أن يعتزل العمل ، بعد زواجه ــ شبه الإجبارى ــ من (سونيا جراهام) ، وإنجابها طفله الوحيد ؟..

أهو شعور بالخجل ؛ لأنه تزوّج عدوته ، وعدوة بلاده ؟!

إنه لم يكن يدرك ، وهو يتزوّجها ، أنه يرتكب هذا الخطأ ..

لم يكن يعلم من هو ..

ولا ماذا يفعل ..

وعلى الرغم من هذا ، فهو يشعر بالمرارة والخزى مما فعل ..

ومن أعمق أعماق نفسه ، ومن قاع ذكرياته المريرة ، أطلق (أدهم) زفرة حملت حرارة براكين الأرض كلها ، ثم اتجه إلى الجواد العربى الأبيض ، الذى وقف ساكنًا ، وكأنما يراقب الغروب



وعلى الرغم من هذا ، فهو يشعر بالمرارة والخزى مما يفعل :
ومن أعمق أعماق نفسه ، ومن قاع ذكرياته المريرة ، أطلق (أدهم) زفرة حملت حرارة براكين الأرض كلها ..

كصاحبه ، ووثب على متنه فى رشاقة مدهشة ، ولكزه بكعبيه فى بطنه ، قائلًا :

- هيا يا صديقى .

انطلق بالجواد عبر المزرعة الشاسعة المترامية الأطراف ، وقد خلا ذهنه من أية انفعالات أو ذكريات تقريبًا ، وكأنما يجد سلواه فى امتطاء ذلك الجواد الأصيل ، الذى يعيد إليه شعوره بالانتماء إلى موطنه ..

ومن بعيد لاح له ذلك القصر ، الذى يتوسط المزرعة ..

قصره ..

ودون وعى منه ، خفف من سرعة الجواد ، وكأنما يخشى بلوغ ذلك القصر ..

كان يمقت المكان ، ويعشقه فى الوقت نفسه ..

وياله من مزيج متناقض عجيب !..

كان يمقته ، لأنه يبدو - بالنسبة إليه - أشبه بسجن ، أحاطت به قضبانه ، ومنعته من العودة إلى حياته السابقة ..

ويعشقه لأنه مسقط رأس ابنه ..

ابنه الوحيد ..

وفى بطء ، بلغ القصر ، وترجّل عن جواده ، واستقبلتـه (سونيا) فى توتر ملحوظ ، وهى تقول :

- أمازلت تصرّ على رؤية الغروب يوميًا ؟

أجابها فى صرامة :

- هذا يروق لى .

انخفض صوتها ، على غير عادتها ، وهى تقول :

- إننى لم أعترض .

تحرك ليدخل إلى القصر ، ولكنها استوقفته ، قائلة :

- (أدهم) .. أمازلت تكرهنى ؟

لم يحر جوابًا ، وإن بدا شىء من الحزن فى عينيه ، فتابعت فى عصبية :

- ماذا أفعل لأقنعك أننى أحبك يا (أدهم) ؟

قال فى ضيق :

- إننى واثق من هذا تمامًا يا (سونيا) .

هتفت فى مرارة :

- لماذا تكرهنى إذن ؟.. لقد أقسمت لك إننى لم أعد عدوتك .. إننى الآن زوجتك يا (أدهم) .. زوجتك وأم ابنك .. ألا تفهم هذا ؟

استدار يواجهها ، وهو يقول :

- أفهمه يا (سونيا) .. أفهمه تمامًا .. ولكننى أفهم أيضًا أن زواجنا تمّ بخدعة حقيرة .. أنت تعلمين جيّدًا يا (سونيا) أنه كان من المستحيل أن أتزوّجك ، لو لم أفقد ذاكرتى ، وأجهل من أنا ، ولو لم يمكنك خداعى ، وإيهامى بأننى (موشى حاييم دزرائيلى)(*) .

صاحت محنقة :

- لماذا ؟.. لماذا كان من المستحيل أن تتزوّجنى ؟.. مئات من الرجال لم يتمنوا خيرًا من زواجهم منى .

قال فى برود :

- ربما كان هذا هو السبب .

صاحت فى حدة :

(*) راجع قصة (الأخطبوط) .. المغامرة رقم (٨٢) .

- ماذا تعنى ؟

أجابها فى صرامة :

- أنت تدركين ما أعنيه .. ولا أريد كلمة واحدة زائدة ، فى هذا الشأن .

نطقها بلهجة آمرة ، كانت تجمد الدماء فى عروقها ، فلاذت بالصمت لحظات ، ثم قالت فى لهجة لها طعم الدموع :

- ماذا أفعل لتحبنى ؟

أجابها مشيحًا بوجهه :

- اتركى الأمر للزمن .

سألته فى مرارة :

- وهل هناك أمل ؟

تنهد فى عمق ، وقال :

- من يدرى يا (سونيا) ؟.. من يدرى ؟

اكتسبت لهجتها شيئًا من الشراسة ، وهى تقول :

- أما زلت تحبها ؟

لم يجب على الفور ، فقالت فى حدة :

- إنك تحبها .. أليس كذلك ؟

قال فى شىء من الصرامة :

- كيف حال الصغير ؟

صاحت :

- لا تبدل الأمر ، ولا ..

قاطعها مشيرًا إلى الأفق :

- يبدو أن لدينا زائرًا .

تطلعت إلى حيث يشير ، ورأت مصباحى سيارة يقتربان من القصر ، عبر الطريق الممهد الخاص ، فقالت فى حذر :

- ومن ذا الذى يأتى لزيارتنا ، دون موعد سابق ؟

ردد (أدهم) :

- من يدرى ؟

تابع ببصره السيارة ، التى قطعت الطريق كله ، حتى توقفت أمام الباب الرئيسى للقصر ، وسمع سائقها يقول لراكبها الوحيد ، فى إنجليزية ركيكة :

- ها هو ذا قصر السنيور (أميجو صاندو) يا سنيور ، وها هو ذا يقف هناك ، مع السنيورا (نورما) .

تساءل (أدهم) فى حذر ، عمن يكون هذا الزائر الغامض ، ولكنه لم يكد يلمحه ، وهو يغادر السيارة ، حاملاً حقيبته الصغيرة ، حتى هتف :

- أنت ؟!

أما (سونيا) ، فقد انعقد حاجباها فى شدة ، وأدركت أن هذا اللقاء قد يكون بداية جديدة لـ (أدهم) ..

أو نهاية أخرى ..

* * *

انتهى الجزء الأول بحمد الله

ويليه الجزء الثانى

(الثعلب)